د. كرم الصاوى باز(*)

الحركة التجارية فى العصر المملوكى وأهميتها كحلقة وصل بين مراكز البحر الأحمر ومدغشقر وجزر القمر

فى الفترة من (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)

مقدمة :

تشير هذه الدراسة إلى ازدهار الحركة التجارية فى العصر المملوكى كحلقة وصل واتصال بين مراكز البحر الأحمر وساحل أفريقيا الشرقى (١)، خلال الفترة من منتصف القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر الميلادى تفتحت فيها الثقافة البحرية السواحلية بتأثير القوى الاقتصادية الإسلامية على ساحل شرق أفريقيا وجزر القمر ومدغشقر (٢). إذ أفرزت هذه العلاقة حركة واسعة من التبادل على هذه الجزر وطول ساحل سفاله (٣).

لقد استقرت جاليات إسلامية فى أرخبيل القمر وبعض المناطق من مدغشقر؛ لتؤثر فى قيام الوكالات التجارية السواحلية مع احتفاظ القمريون بالتقاليد الثقافية لبلادهم الأصلية(٤).

أما أهل مدغشقر ، فعلى الجنوب الشرقى وهو أبعد المناطق من مراكز إشعاع الحضارة السواحلية . فقد قسم ضمن المجموعة الملجاشية ، وهى التى احتفظت بسماتها المتميزة ، وبالمقابل فى الشمال الغربى اتخذت هذه الجماعات طابعًا إسلاميًا متأثرين

---

* مدرس بقسم التاريخ معهد البحوث والدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة .

بعلاقتهم مع مراكز البحر الأحمر، إخوانهم فى الدين : لتسهم هذه العلاقة فى إفراز وكالات تجارية على نفس الأصالة، تؤكدها طبيعة أنسابهم وشيمهم وتقاليدهم(٥).

وتبرز هذه الدراسة تشابه وكالات البحر الأحمر مع وكالات الشمال الغربى الملجاشى ووكالات جزر القمر سواء فى ملامحها أو فى نمط عيش سكانها؛ وهذا ما أكدته الدراسة الأركيولوجيه للأطلال المتبقية من القلاع المحصنة والمساجد والدور العتيقة التى لاتزال موجودة فى أنجوان بأبوابها المزدانة بزخارفها ذات الطابع الإسلامى؛ كما تشهد مؤثرات وكالات البحر الأحمر الحضارية فى المحطات التجارية فى موتسامودو ، وأوانى ودوموني ، وسيما(٦).

أن وكالات مدغشقر وجزر القمر هى حالة من الترابط والتكامل بين مراكز البحر الأحمر وشرق أفريقيا. فهى مثال واضح من الامتزاج البيولوجى والثقافى .

والحقيقة أن هناك عدداً من الدراسات التى تناولت الحركة التجارية لدى مراكز البحر الأحمر، وخاصة مصر خلال فترة العصور الوسطى سواء الأركيولوجيه والتاريخية على سبيل المثال:

أ.د. آمال العمرى : المنشآت التجارية فى القاهرة فى العصر المملوكى «جامعة القاهرة» كلية الآثار ١٩٧٤ (٧).

أ.د. مجاهد توفيق الجندى: أهم الوكالات فى مدينة القاهرة ودورها الحضارى وهى دراسة بالغة الأهمية (٨).

وهناك دراسة شاملة لتجارة التوابل فى مصر فى العصر المملوكى أ.د. محمد عبد الغنى الأشقر ، صادرة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب وهى دراسة وثائقية (٩).

وهناك دراسة للمستشرق شتيك (Chittic . N.) تبرز انتشار الأنشطة التجارية من ساحل مقدشيو إلى ساحل سفاله منذ القرن العاشر الميلادى؛ وهذا ما أكدته هذه الدراسة من أثر وكالات البحر الأحمر فى بمبا وزنجبار ومدغشقر وجزر القمر(١٠).

CF : Chittick , H.N. (1974) Kilwa : an islamix trading city on the east african coast , 2 vol (Nairobi: British institute in eastern africa .

وقد تناولت هذه الدراسة النقاط التالية :

أولاً : الحركة التجارية فى البحر الأحمر وانتقالها إلى ساحل شرق أفريقية ؛ وجزر القمر ومدغشقر .

ثانيًا : دور التجار المسلمين الاقتصادى والثقافى على ساحل شرق أفريقة ، ومدغشقر وجزر القمر.

ثالثا: أثر الحركة التجارية فى انتقال التأثيرات السياسية والاقتصادية على ساحل شرق أفريقية.

رابعًا : انتقال التأثيرات عبر ساحل شرق أفريقيا إلى مدغشقر وجزر القمر.

الخاتمة .

أولا : الحركة التجارية فى البحر الأحمر وانتقالها إلى ساحل شرق أفريقية ؛ جزر القمر ومدغشقر :

إن عصر دولة سلاطين المماليك فى مصر ، الذى امتد إلى أكثر من ثلاثة قرون، من الأيوبيين إلى العثمانيين، أى من ٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٧م إبراز لدور مصر الريادى دائمًا [١١]؛ فالمماليك أوجدوا فى مصر حكما يعتبر أقوى حكم فى العالم كله فى وقتهم، إذا قورن بحكم أى دولة إسلامية أخرى فى أفريقيا أو آسيا أو أوربا [١٢]، فقد أصبحت مصر فى عهدهم دولة عظمى ، احتلت الصدارة فى حكم العالم الإسلامى أجمع ، وجعلوا القاهرة قاعدة لإمبراطوريتهم الواسعة ، كما أن مصر فى عهدهم أصبح لها أيضًا الريادة الحضارية العظمى فى الإسلام، التى هى امتداد لريادة مصر الحضارية عبر العصور ، الممتدة إلى آلاف السنين قبلهم ؛ وإن اتخذت فى عهدهم الطابعين العربى والإسلامى، مما يجعلنا نقرر أن الحضارة الإسلامية منذ ظهورها لم تبلغ أوج ازدهارها إلا فى مصر، فى عهد دولة سلاطين المماليك بالذات. فيقول المؤرخ الكبير ابن خلدون فى مقدمته؛ عن عصر دولتهم فى مصر: «وليس أوفر اليوم فى الحضارة من مصر ، فهى أم العالم. وإيوان الإسلام ، وينبوع العلم والصنائع»[١٣].

حقًا ليس أدل على انتعاش الحياة الاقتصادية فى أيام المماليك، من وجود كلمات كثيرة تدل على اتساع نشاطها التجارى والصناعى فى مصر، مثل : دكاكين [١٤]، وحوانيت ، ومخازن ، وقياسر (أو قيساريات) . وخانات [١٥] . ووكالات [١٦]، وفنادق [١٧]، وهذه الأخيرة كانت أكثرها. وتتكون من عدة طوابق ؛ عبارة عن غرف مختلفة ومخازن [١٨]. لها فناء داخلى، يحتوى على البضائع والدواب ؛ يسكنها غالبًا التجار الأجانب[١٩] يرأسهم القناصلة – مفردها

قنصل – وهم كبار الفرنج [٢٠]. فكانت الفنادق توجد فى كل إنحاء المدن المصرية ، من الإسكندرية إلى مصر، ومن مصر إلى أسوان [٢١]. كذلك كانت شون القاهرة [٢٢]؛ اعتبرت من أغرب الغرائب ؛ فهى مخروطية الشكل: أكثر ارتفاعًا من برج اشبيلية بالأندلس. ولا تزال بعض المبانى التجارية المملوكية باقية إلى الآن وبأسمائها ، تزينها النقوش العربية ، والرسوم الهندسية . والقوالب الخشبية . وحتى نشاطها التجارى لايزال مستمرا إلى وقتنا الحاضر. مثل : خان الخليلى [٢٣] . وهو سوق ظهر من أيام المماليك .

وقد ترتب على الازدهار الاقتصادى أن القاهرة عاصمة البلاد: وبجوارها الفسطاط [٢٤]. اتسعتا اتساعًا كبيرًا. حيث كانت تجمعها أسوار مشتركة، ولاسيما بعد إنشاء حى القلعة أيضًا ، بحيث تخصص للكتابة عن القاهرة مؤرخون كبار؛ آخرهم فى عصر المماليك آق بغا الخاصكى، كاتب السلطان قنصوه الغورى ، الذى ألف كتابه[٢٥] : التحفة الفاخرة فى ذكر رسوم خطط القاهرة ؛ بعد خمسين سنة من كتاب المقريزى المشهور باسم الخطط والآثار، الذى لم يعرف قبله كتاب فى قيمته، لما يشتمل عيه من معلومات مفصلة عن تاريخ : حارتها، وخططها– أى الأحياء– وأزقتها. ودروبها ، وخوخها ؛ ورحابها– أى ميادينها– وأسواقها ، وسويقاتها، وظواهرها – أى ضواحيها وأحكارها . وهذه الأخيرة هى الميادين المقفولة[٢٦].

ولدينا وصف مسهب من قبل الرحالين والجغرافيين للقاهرة، فالرحالة ابن بطوطة يرى أن القاهرة كثيرة الحيوية ؛ بالنسبة لمدن أخرى . فينكر ثلاثين ألف ركوبة للتنجير وأن بها مطاعم كثيرة؛ ومن الأقمشة ما هو ليس فقط من صنع مصر والشرق ، وإنما من إيطاليا والسند[٢٧]. كذلك الرحالة طافور يقول إن أروع ما فى القاهرة سوقها ، الذى تعرض فيه أكداس هائلة ، وكميات ضخمة ، من شتى البضائع الواردة من الهند، ولا سيما اللآلى والأحجار الكريمة والتوابل والبضائع . وكل مشموم طيب الرائحة ؛ إذ ليس فى القدرة تعداد جميع السلع التى يؤتى بها إلى هنا من الهند. ثم توزع فى أنحاء العالم؛ فالقاهرة هى السوق الرئيسى لجميع تلك الأنواع [٢٨].

ومن المحقق أنه كان يوجد غير القاهرة ومصر– وهى من أكبر المدن التارية والصناعية– مدن أخرى فى طول البلاد وعرضها ؛ تعتبر وكالات ومراكز اقتصادية نشطة . فنذكر الإسكندرية العظمى[٢٩] ودمياط ؛ وقد أصبحتا أكثر موانئ البحر الأبيض حيوية . وكذا البرلس ورشيد[٣٠]، حيث كان يصلها التجار الأجانب أيضًا؛ وعيذاب أعظم موانئ ساحل

البحر الأحمر[٣١]، بسبب أن مراكب الهند واليمن تحط فيها البضائع. ونذكر في الصعيد قوص [٣٢]؛ قرب أسوان التي أصبحت قصبة ، ووصفت على أنها مدينة عظيمة بسبب ورود تجار أفريقيا إليها[٣٣]، وأهلها أرباب ثروة واسعة ، وأنها محط التجار القادمين من عدن ، كما نذكر أخميم مدينة هامة فى الصعيد بعد قوص ؛ وقد بلغت عمارة الصعيد . فى وقت المماليك أن من يمر من القاهرة إلى أسوان يجد فى كل بلدة دور الضيافة[٣٤].

هذا المال المتدفق نتيجة للفهم الواعى لمسائل الاقتصاد وقتذاك . قد مهد للرخاء والبذخ الذى عاشته الطبقة المملوكية بالذات؛ وعلى رأسها السلطان حتى أنه من كثرة الأموال كانت له خزانه خاصة. عرفت بخزانة الخاص[٣٥].

فقد أصبحت القلعة مقر حكمهم تتكون من قصور عظيمة ، شبهت بأجنحة تطل على القاهرة ؛ بنيت فى عهد سلاطين مختلفين. نذكر منها: القصر الكبير[٣٦] والقصر الأسود [٣٧]؛ والقصر الأبيض [٣٨]، والقصور الجوانية[٣٩] وعددها ثلاثة ؛ والقصر الأبلق [٤٠]. الذى به ثلاثة قصور ، والقصر المعروف بالأشرفية [٤١]. كما يوجد فيها دور خاصة بالحريم ومساكن المماليك السلطانية وأمرائهم بنسائهم وأولادهم ولعلها كانت فى أبراجها ، التى سميت بأسماء منها البرج الأحمر[٤٢].

كذلك وجدت فى القلعة أبنية متعددة لخزن ما يحتاج إليه سكانها وأبهة السلاطين، ففيها خزائن واسعة أو خانات [٤٣]. استخدمت فى خزن البضائع أو فى صنع الأشياء. وقد تأكد ثراؤها من وصف المؤرخين المسهب لمحتوياتها الثمينة التى جلبت من جميع بقاع الدنيا أو صنعت فى مصر، وفيها حوانيت وأسواق وميادين ووكالات ضخمة كثيرة ؛ بحيث أصبحت القاهرة درة فى جبين الشرق ، فهى المدينة ذات الألف منذنة . فكان لهذه المبانى موظف خاص يشرف عليها اسمه : شاد العمائر [٤٤]. ومعظمها تحمل علامات «رنك»[٤٥] السلاطين : أو من بنوها من أمراء المماليك.

وترجع أهمية الوكالات فى العصور الوسطى إلى طبيعة القاطنين فيها فى تجارة الكارم. فقد كانت بمثابة مراكز للتخزين والبيع والشراء، لذلك انتشرت الوكالات فى مصر وعلى طول شواطئ البحر الأحمر[٤٦]. أما بالنسبة لوكالات الأجانب فقد تطورت إلى أبنية تؤدى معنى الحى ؛ حيث أصبح لكل جالية حى خاص بها يضم وكالتها. فقد كان لجاليات البنادقة حى فى الإسكندرية يضم وكالتهم، يحتفظ فيها التجار بسلعهم ويدفعون عنها رسوما للدولة ويمارسون حياتهم بحرية أوسع [٤٧].

وقد ترتب على انتعاش الحركة التجارية فى مصر بظهور تجارة التوابل لتعنى تاجر البهار، مصر نفسها، فكان يطلق عليهم عمومًا اسم: الكارم أو الكاريمى(٤٨) أو الكارمية– جمع كارمى– فكانوا أشبه بنقابة تجارية لهم رئيس اسمه : رئيس الكارمية أو وكيل التجار؛ أو حتى شهبندار التجار؛ حيث كانت هذه الرياسة فى أسر معينة (٤٩). ولعل اللفظ «كارم» قد أتى من اسم «كانم» الواقعة فى السودان الأوسط ؛ بسبب أن تجاراً من هذا البلد عاشوا فى مصر، وتمصروا على مر الأجيال وتخصصوا بهذه التجارة ، فكانوا يبيعونها للتجار الأجانب (٥٠)؛ وأصبحت الكارم تطلق على أى تاجر يشتغل بتجارة التوابل بما فيهم النصارى واليهود(٥١). ممن عاشوا فى مصر، حيث لدينا وثائق الجنيزة الخاصة باليهود، التى تشتمل على أسماء عائلات يهودية مغربية عاشت فى مصر واشتغلت بهذه التجارة(٥٢).

وفى أول أمر: فرض المماليك الضرائب الباهظة على هذه التجارة؛ فكان الموظف الذى يشرف على جبايتها فى مصر سمي : ناظر تجار الكاريمى (٥٣)؛ أو مستوفى البهار والكارم. بل ولأهمية هذه التجارة؛ قد تضاف إلى تخصصات الوزير (٥٤). الذى هو على رأس الإدارة ، بما فيها شئون المال. كذلك عمد بعض السلاطين إلى احتكار هذه التجارة عن طريق هؤلاء التجار(٥٥) ؛ أو عن طريق متخصصين ؛ يقيمون فى موانئ مصر الكبرى مثل : الإسكندرية العظمى أو دمياط والبرلس ورشيد وعيذاب؛ وهذه الأخيرة كانت أعظم موانئ ساحل البحر الأحمر ؛ بسبب أن مراكب الهند تحط فيها البضائع (٥٦). أما فى خارج مصر فى الإمبراطورية المملوكية. فقد كانت عدن؛ هى المرسى العظيمة من بلاد اليمن لهذه التجارة (٥٧)، ووجد فيها موظف مملوكى كبير اسمه : شاد الكريمى (٥٨)؛ ولقد وصف المؤرخ ابن فضل الله العمرى؛ حركتها التجارية حيث كان يأتيها التجار من الصين والهند والسند والعراق والبحرين ومصر والزنج والحبشة؛ فيحمل منها حمل الفلفل الذى يساوى خمسين ديناراً فى القاهرة ويباع فى الاسكندرية بثلاثين ومائة ديناراً. فقد كان سلاطين المماليك يحكمون اليمن بطريق مباشر، إذ كان همهم الأول أن يسيطروا على باب المندب (٦٠)؛ وساعد على ذلك أن طبيعة بلاد اليمن، انقسم بين حكام محليين متعددين، فكانوا يرسلون أسطولهم إلى زبيد، إحدى موانئ اليمن التجارية الهامة للمرابطة فيها، ولكن ظهر لحكام اليمن المحليين ميل للاستقلال عن سلطة المماليك؛ بحيث أصبحوا يكاتبون ملوك الصين (٦١)، ويتاجرون فى الفلفل لحسابهم (٦٢). ومع ذلك فلدينا رسالة بتاريخ ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م من أمير سيلان– السيلان– إلى قلاوون، يبين

فيها أنه رفض أن يتاجر مع أمير من اليمن ليحجز كل تجارته لسلطان مصر ، ويطلب منه ارسال التجار المصريين وحدهم (٦٣).

وعلى كل حال، لما انحسر تدريجيا نفوذ دولة سلاطين المماليك فى اليمن فإن برسباى جعل ميناء جدة يحل محل عدن (٦٤)، وأصبحت أعظم مراسى الدنيا فى تجارة البهار(٦٥)، ووجدت فيها حامية مملوكية عسكرية وناظر وشاد لهذه التجارة. وأصبح متوليها يعرف بنائب جدة، ولقبه : نائب السلطنة الشريفة بالأقطار الحجازية ، يقيم فى مكان اسمه : دار النيابة وله سلطة مكاتبة ملوك الهند وغيرهم(٦٦). ولأن حركة الملاحة فى المحيط الهندى ارتبطت بحركة الرياح الموسمية(٦٧) فقد أقيمت الفنادق لمبيت التجار فى الموانئ التى كان بها كثير من زوجات وعائلات تجار الكارم.

انتقلت الحركة التجارية من مصر ذات الرصيد الحضارى إلى موانئ الساحل الأفريقى، فكانت مقدشيو تعد من الموانئ المهمة على بحر الهند كما يسميه المقريزى وعندها تجارات الصومال والحبشة والسودان وشرق افريقيا (٦٨). لذا وصفها ابن بطوطة بأنها مدينة أهلها تجار أقوياء ويها تصنع الثياب المنسوبة إليها(٦٩). ومنها تحمل إلى مصر وغيرها على يد تجار الكارم(٧٠) وإلى الجنوب من مقدشيو، كانت توجد مالندى وهى فى تنزانيا الآن؛ وكان أهلها مسلمين وكثر فيها تجار الكارم الوافدون عليها لأنها كانت مركزًا تجاريًا لسلع داخل القارة التى كانت ترد إليها لتتولى هى القيام ببيعها إلى تجار الكارم من مصر (٧١). وبالقرب من لندى وجدت أيضًا ممبسه وهى التى تحوى ميناء ضخم ترسو فيه السفن لجلب الحديد والنحاس والفضة على يد تجار الكارم(٧٢). أما عن كلوة التى أصبحت بمثابة المركز الرئيسى لتجارة الذهب الذى كانت تحصل عليه بمبادلته بالأقمشة، فقد لعبت كلوة بمؤسساتها التجارية دور الوسيط التجارى بين منتجات داخل القارة وبين تجار الكارم الوافدين إليها (٧٣).

وإذا تركنا الساحل الشرقى لأفريقيا نجد قبالته إلى الشرق جزيرة مدغشقر (٧٤)؛ وهى حلقة من حلقات الاتصال لمكانتها التجارية وخاصة أشجار الصندل ووفرة العنبر فكانت مقصدا لسفن الكارم(٧٥) وعند مدخل خليج عدن جزيرة سقطرى التى عرفت بالعنبر (٧٦)، لذلك ازدهر الساحل الأفريقى ونمت تجارته بفضل تأثيرات الوكالات التجارية عبر البحر الأحمر، التى تمتعت بمعاملة حسنة؛ وكان لتحول التجارة عبر البحر الأحمر بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م أثر فى بزوغ ظفار كميناء مهم، حيث تحتل موقعًا يساعد على الاستفادة

من الطريق التجارى للبحر الأحمر. فهى ميناء داخل المحيط الهندى، يصلح لرسو السفن فى طريقها للبحر الأحمر وهى قادمة من الشرق(٧٧).

أما عن مراكز البحر الأحمر الشرقية (٧٨). فإذا عبرنا بحر «بربره- خليج عدن (٧٩)؛ نجد أن عدن هى الميناء الواقع بالقرب من مدخل الخليج ، وقد أطلق اسمها على الخليج فيما بعد(٨٠)؛ فهى مجمع تجارات عالمى للمحيط الهندى والبحر المتوسط، وأن كان ذلك لم يمنع بعض السفن الضخمة من المرور فى البحر الأحمر حاملة سلع الكارم لتصل إلى جدة(٨١).

واحتوت مدينة زبيد (شمال عدن) على تجار من الحبشة والحجاز والعراق ومصر، تعمرها فنادقها ووكالتها التجارية. كما كان لموقع بلاد الحجاز على البحر الأحمر واتصاله ببلاد الشام شمالاً واليمن جنوبًا وبمصر برًا وبحرًا أثر فى نشاط تجارة الكارم من اليمن وعبر بلاد الحجاز حتى وصلت إلى أراضى الشام ومصر والعراق واليمن والحبشة(٨٢).

ومن المراكز التى خدمت تجارة الكارم جدة التى تعتبر من أشهر الموانئ الحجازية وقد اشتهرت بأنها ميناء مكة على البحر الأحمر (٨٣). واستمرت الصلة التجارية قوية بين مصر وميناء ينبع حتى أن بعضًا من سكان هذا الميناء كانوا من الأسر المصرية الكارمية التي انتقلت إليه من صعيد مصر للتجارة(٨٤) كما خصصت السلطات المملوكية ميناء ايله (العقبة الآن) لمرور سلع الكارم القاصدة إلى الشام بعد سقوط القسطنطينية فى سنة ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م واقتصر ميناء الطور على سلع القاهرة(٨٥).

وإذا انتقلنا إلى مراكز البحر الأحمر الغربية نجد زيلع ، التى يروى ابن بطوطه أنها «مدينة البرابرة» ، وهم طائفة من السودان ، وأهلها تجار أقوياء وبها تصنع الثياب المنسوبة إليها ومنها تحمل إلى مصر على يد تجار الكارم(٨٦).

وكذلك كان ميناء زيلع مركز تجمع تجارة الحبشة والنوبة، وهناك أيضًا ميناء بربره القريب من زيلع الذى كان يتردد عليه فى مواسم تجارة الكارم حوالى ١٥٠٠٠ تاجر وكانت تتبع حاكم الحبشة (٨٧)، وكانت دهلك وهى قبالة مصوع بالقرب من ساحل البحر الأحمر الغربى وغرب مدينة حلى من بلاد اليمن- وكانت تعد من مملكة الحبشة المسلمة التى يدارى ملكها صاحب اليمن (٨٨).

ولعب ميناء سواكن دورًا مهمًا لتجارة الكارم [٨٩]، وهو الميناء المعد لتصريف منتجات الحبشة وبلاد النوبة والسودان . وكان من نتائج حملة السلطان بيبرس سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٣م انهيار نفوذ سواكن وكثر تردد المسلمين فيها لدرجة أوجبت على السلطان استخراج الزكاة منهم. كما ورد ذكر ميناء سواكن فى أثناء الصراع بين مينائى عدن وجدة فكانت سوء معاملة الرسول باليمن سببًا فى توجه سفن الكارم إلى جدة، فتوجهت السفن إلى ميناء سواكن ودهلك غير أن المعاملة التى لقيها التجار لم تكن خيراً مما لقيها التجار فى عدن وجدة فتوجهت السفن إلى ينبع . وكانت تصل متاجر سواكن إلى مصر بطريق البحر الأحمر[٩٠].

ولقد ارتبط ظهور عيذاب فى العصر الفاطمي كميناء لتجارة الكارم بتطور الملاحة فى البحر الأحمر في الفترة من سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م إلي عصر السلطان برسباى فى سنة ٨٣١هـ/ ١٤٢٧م أى السنة التى خربت فيها ، وحلت محلها ميناء جدة[٩١].

ثانيًا : دور التجار المسلمين الاقتصادى والثقافى على ساحل شرق أفريقية، ومدغشقر وجزر القمر:

التقت سفن البحر الأحمر مع سفن المحيط الهندى، في رابطة تجارية متناسقة متداخلة منتظمة مكملة لبعضهما البعض [٩٢]، تصل مرافئها بمدنها، وبرز العرب المسلمون سادة التجارة البحرية في هذا المحيط ، بحيث كانوا تجار ومتجر عالم المحيط الهندى فى تلك العصور، مارسوا التجارة فى حرية الانتقال واستقرار. ولم يد المحيط أمانه واستقراره إلا بوصول البرتغاليين وما تلاهم من شرار المستعمرين [٩٣].

ويذكر دافيدسون "Davidson" أن إنتاج إقليم الزنج بأفريقيا يتركز فى سن الفيل والذهب وخشب الصندل الأصفر ، وفى كل عام تأتي سفن التجار العرب إلي ساحل شرق أفريقيا للتجارة فى هذه السلع [٩٤]، وإن كان د. طرخان يرى أن المجتمع الذى نشأ حول المستعمرات الحربية في ساحل شرق أفريقية لم يكن عربيًا بحتًا. فقد ظل العرب كغيرهم من المستعمرين فى أفريقيا وغيرها من القارات يكونون طبقة أرستقراطية . وتعيش بجوار الهنود الذين كان لهم نشاط ملحوظ فى الأعمال المالية والتجارية [٩٥].

ومنذ حوالى ٥٤٥هـ / ١١٥٠م أبحر العرب العمانيون والهنود والشيرازيون على طول الشاطئ الأفريقي [٩٦]. كما حظى الوافدون من الديبل فى الهند بأهمية سياسية فى زنجبار

ويمبا[٩٧]. والأرجح أن الهنود كانوا يقومون بدور الصيارفة والملاحين [٩٨]، وقد وجد فاسكو داجاما في شرق أفريقيا بحارة من كمباى بالهند يرشدون أنفسهم بنجوم فى الشمال والجنوب [٩٩]. كما كان لهم أجهزتهم الملاحية التى ابتكروها بأنفسهم وكان ذلك عام ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م[١٠٠]. إن سيادة العرب الملاحية على المحيط الهندى ومعرفتهم بأسرار الملاحة، ومواكبة ذلك لانتشار الإسلام على سواحل وجزر المحيط الهندى، ووجود الجاليات الإسلامية فى أغلب مدن وموانئ المحيط «وكان دورها الرئيسى فى تلك المناطق هو الوكالات التجارية[١٠١] » جعلت الهنود وغيرهم ينسحبون من الميدان تاركين لفارسه الأوحد الذى تحمل عناء ومخاطر التجارة العالمية عن الهنود الذين جاءتهم بضائع العالم إلى بلادهم كما حملت سلعهم دون ركوب البحر ومكابدة المخاطر [١٠٢]. والمأثورات الشفاهية لها دلالتها [١٠٣]، ويمكنها أن تسد بعض الثغرات فى التاريخ عندما تنعدم الوثائق وتسكت المصادر؛ بالإضافة إلى دلالات المأثورات الشفاهية فإن التأثير الثقافى فى اللغة السواحلية يدل على مدى عمق الصلة بين دول المحيط [١٠٤]، ففى كثير من مفردات اللغة السواحلية دليل على تلك الصلة. فنجد على سبيل المثال فى إحدى حكايات الحب الشهيرة فى زيلع مركزًا تجاريًا هامًا فى العصور الوسطى- أن الخط الأساسى فى الحكاية يرتبط بالتجارة ومخاطرها فتصف تلك الحكاية أهوال المحيط التى يقابلها البحارة ومدى ما يتعرضون له من مخاطر ولهفة أحبائهم عليهم كذلك نجد صدى لمخاطر التجارة والملاحة في المحيط الهندى فى الأغنيات الشعبية وتقول كلماتها :

قد عادت السفن التجارية التى أبحرت .

من سوريا وزنزبار

أين السفن التى أبحرت إلى بومباى

هل تحطمت أم غرقت ؟

ويغنى الفتى أغنية تشير إلى الدور الذى تلعبه الرياح فى التجارة:

أنا مثلك أريد العودة فى الوقت المحدد، ولكن رياح الشتاء الشريرة.

قد سجنتنى بعيدًا [١٠٥].

ويصور المقطعان التاليان من أغانى البحر حالة التجارة فى المحيط أفضل تصوير. لايستطيع الذاهب من شرق أفريقيا العودة فى موعد محدد ويعود التاجر من الهند بثروة وخبرة عظيمة[١٠٦].

وعلى الرغم من عدم وجود قوى ملاحية أفريقية تشارك فى تجارة المحيط، إذ لم تشر المصادر إلى سفن أو تجار أفريقية . إلا أن السواحل الأفريقية استمدت حيويتها ونشاطها وازدهارها بمشاركتها فى حركة التجارة العالمية باعتبارها المكان الذى تخرج منه المنتجات الأفريقية . ولم يقتصر دورها على التصدير فقط بل استوردت أيضًا كثير من المنتجات العالمية. وفضلا عن هذا كله كانت وسيطًا فى كل هذا بين الساحل والداخل . وبرزت المدن على الشاطئ الأفريقى متميزة بحضارة سواحلية تعكس مزيجًا من الحضارة العربية والفارسية والأفريقية وقد ساعدت تلك المدن التى تعددت ككيلوة ومالیندى ومقدشيو وغيرها على ازدهار تجارة ما وراء البحار ونحوها ، على أن السمة الغالبة على تلك المدن كانت سمة الوسيط التجارى. فلم تشارك فى عملية النقل التجارى، كما لم تقم بعمليات البيع والشراء فى الموانئ الأخرى؛ واقتصر دورها فقط علي استقبال المنتجات أو السلع التجارية من أسواق وموانئ المحيط ، وأيضًا من وكالات مصر وغالبًا ما كان يقوم تجار من مختلف البلدان بالعمليات التجارية؛ وكان الدور الرئيسى فى عملية التجارة التى قامت به تلك المدن هو جلب منتجات داخل القارة إلى الساحل وأهمها : العاج وأصداف السلاحف والذهب وغيرها (١٠٧).

وكان ازدهار الحركة التجارية فى شرق أفريقية مع استقرار العديد من العناصر العربية بهدف تنشيط الرواج التجارى بدليل ما عثرنا عليه من نقوش دهلك التى وصلتنا منها أعداد كبيرة؛ إذ أن بعض النقوش عبارة عن آيات قرآنية شريفة وحكم وأدعية وبعضها الآخر غير مؤرخ (١٠٨)، ومنها نقش يتضمن اسم عبدالله بن سلام ، وبعضها نقوش مؤرخة ومنها نقش باسم شهرة (ت ٦٦٦هـ / ١٢٦٨م) ونقش باسم السيد نعيم (ت ٦٧٥هـ / ١٢٧٧م)(١٠٩).

وهناك نقوش أخرى تشير أسماء أصحابها إلى أنهم من ذوى الأصول المسيحية وأنهم اعتنقوا الإسلام ومنها نقش باسم إبراهيم (كذا) بن يعقوب (ت ٦٢٢هـ / ١٢٦٤م) (١١٠).

ومما لاشك فيه أن وجود هذه النقوش إنما يؤكد وجود جماعات إسلامية مستقرة فيها بديل وجود هذه الجبانة التى اكتشفت فيها تلك القبور فضلاً عن اكتشاف بعض المساجد فى تلك المنطقة ومنها مسجد Manakllou (١١١).

كذلك اكتشف عدة قبور بها نقوش شاهدية فى جنوب «تجرى» ومنها نقش مؤرخ ب ٨ ذى القعدة عام ٣٩٦هـ / ١٠٠٥م، مما يشير إلى وجود جماعات إسلامية مستقرة فى تلك

المنطقة(١١٢).

أما عن الهجرة الشيرازية فقد اختلف حول تاريخ وصولها إلى شرق أفريقيا فيرى البعض أنها كانت فى النصف الثانى من القرن ٤هـ / ١٠م وبالتحديد فى عام ٣٦٥هـ / ٩٧٥م(١١٣). ويرى هنشنز استناداً إلى بعض التواريخ المحلية أنه كانت فيما بين عامى ٤٤٧-٤٩٤هـ / ١٠٥٥-١١٠٠م (١١٤)، بينما يرى فريق ثالث أن تلك الهجرة لم تحدث إلا فى أواخر القرن ٦هـ/ ١٢م(١١٥).

والحق أن الأدلة المستمدة من النقوش الأثارية وبخاصة النقوش الإنشائية تثبت وتؤكد رأى هنشنز ومنها النقش الإنشائى لمسجد كيزمكازى الواقعة جنوب زنجبار، ويتضمن هذا النقش الصيغة التالية «بأمر الشيخ السيد ابن عمران مقوم الحسن بن محمد اطال الله حياته المديدة، اللهم اقض على اعدائه، تم بناء هذا المسجد فى يوم الأحد من شهرى ذى القعدة سنة خمسمائة من الهجرة(١١٦) ويدل تاريخ هذا النقش المهم وهو سنة ٥٠٠هـ / ١١٠٦م - على وجود سلطنة كلوة الشيرازية خلال النصف الثانى من القرن ٥هـ / ١١م، وهو ما يتفق مع الروايات التاريخية؛ إذ تشير هذه الأخيرة إلى العلاقات الوثيقة بين كلوة وزنجبار فى تلك الفترة.

فبعد أن هاجرت الجماعة الشيرازية إلى شرق أفريقيا وأسست سلطنة كلوة فى الربع الثالث من القرن ٥هـ / ١١م، حدث أن أغارت على كلوة قبائل البانتو الوثنية مما اضطر السلطان الشيرازى- الحسن ابن على أو ابنه على بن الحسن إلى الفرار والهروب إلى زنجبار، لكنه سرعان ما عاد إلى كلوة ثانية بعد فترة قصيرة ، وأخذ يعمل على توسيع قاعدة ملكة ودائرة نفوذه على حساب جيرانه فى الساحل الشرقى لأفريقيا(١١٧)، وعلى ضوء ذلك فمن المرجح أن منشئ هذا المسجد كان نائبًا عن سلطان كلوة فى حكم زنجبار وهو ما يؤيده ورود كلمة مقوم فى النقش وهى تعنى فى اللغة السواحلية ملك أى ملك زنجبار التابع لسلطان كلوة فى ذلك الوقت وهو الحسن بن محمد ومن المرجح أنه أحد أحفاد الحسن بن على أو ابنه على بن الحسن والذى يبدو أن عهده لم يكن مستقراً بدرجة كبيرة بدليل ورود عبارة «اللهم أقض على اعدائه» فى النقش الانشائى للمسجد. ومهما يكن من أمر فإنه قدر لسلطنة كلوة هذه أن تزدهر ازدهاراً كبيراً ولاسيما خلال القرنين ٧-٨هـ / ١٣-١٤م وهو ما تتفق عليه المصادر التاريخية والأثارية على السواء(١١٨).

كذلك تغلغل التجار المسلمون إلى داخل موزمبيق الحالية وزيمبابوى وقد أكدت ذلك المصادر الأثارية وبخاصة الخزفية الفارسية والصينية التى عثر عليها فى زيمبابوى مما يشير إلى وجود علاقات تجارية خلال القرنين ٧-٨ هـ / ١٣-١٤م مع المدن الساحلية وخاصة مع كلوة ومراكزها الأمامية فى الجنوب مثل سفاله(١١٩).

وإذا كانت النقوش الأثارية المتوافرة لدينا حتى الآن تعد قليلة بالنسبة لغالبية شرق أفريقيا كما سبق القول، إلا أنها ليست كذلك بالنسبة لأرخبيل دهلك حيث عثر على أعداد كبيرة من النقوش وبخاصة النقوش الشاهدية فى جبانة دهلك كبير وهى محفوظة حاليًا فى العديد من المتاحف مثل المتحف الوطنى فى مودان بإيطاليا، ومتحف فرديناندو مارتينى فى أسمرة بإرتريا ، ومتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ومتحف تريفيزو بإيطاليا ، ومتحف بارلودوك بفرنسا، ومتحف السودان القومى بالخرطوم ، ومتحف الجمعية الأسيوية بالبنغال ، ويرجع تاريخ أقدم النقوش المؤرخة إلى عام ٢٩٩هـ/ ٩١١م وأحدثها إلى عام ٩٤٦هـ / ١٥٣٩م، وهى مكتوبة بلغة عربية سليمة من الناحية النحوية وتتضمن عدة آيات قرآنية شريفة وفقًا للصيغ والمضامين المعروفة فى الأقاليم العربية الإسلامية المجاورة ، كما تتيح لنا هذه النقوش أن نعيد بصورة جزئية تكوين سلالة سلاطين دهلك وأسماءهم خاصة منذ القرن ٥هـ / ١١م(١٢٠) ومن المعروف أن دهلك كانت أول رأس جسر يقيمه المسلمون على الساحل الشرقى لأفريقيا، وتفصيل ذلك أن قراصنة البحر من الأحباش كانوا يغيرون على جدة، وقيل أن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعث فى عام ٢٠هـ / ٦٤٠م علقمة بن مجزر المدلجى فى مائتى رجل حملهم فى أربعة مراكب لتأديب القراصنة ، وقيل أنها كانت فى عام ٣١هـ / ٦٥١م أى فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وقد عرفت باسم غزوة الأساودة ، ومن الواضح أن الغرض من ذلك كان يتمثل فى تأمين البحر الأحمر حيث أن هذه الغزوة لم تسيطر على أى بقعة أفريقية (١٢١)، وعاود هؤلاء الأحباش الإغارة مرة ثانية على جدة فى خلافة عبد الملك بن مروان وبالتحديد عام ٨٣هـ / ٧٠٢م فما كان من الخليفة إلا أن أرسل حملة قوية نجحت فى السيطرة على أرخبيل دهلك على مقربة من مصوع ، وبذلك نجح المسلمون فى أن تكون لهم فى البحر قاعدة مهمة قامت بدور كبيرة سواء فى انتشار الإسلام أو فى الحركة التجارية.

كذلك اتخذت دهلك كمنفى خلال العصرين الأموى والعباسى حيث نفى إليها الأحوص الشاعر فى خلافة سليمان بن عبدالملك (٩٧-٩٩هـ / ٧١٥-٧١٧م) بسبب قصائده الهجائية

والفقيه عراك بن مالك فى خلافة يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ / ٧١٩-٧٢٣م)، كما نفى إليها الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ / ٧٢٣-٧٤٢م) فى أواخر عهده بعض الشخصيات التى لم تذكر المصادر أسماؤها وقيل أنهم ما كانوا يضعون أقدامهم على الجزيرة حتى توفى هشام ويويع الوليد الثانى، وفى العصر العباسى الأول نفى إليها ولد عبد الجبار والي خراسان فى عام ١٤١هـ / ٧٥٨م أى فى خلافة المنصور، وكانت دهلك على علاقة وثيقة بالدول الإسلامية المستقلة فى اليمن وبصفة خاصة الدولة الزيادية والدولة النجاحية ، وفى بداية ق ٤هـ / ١٠ قامت فى جزر دهلك دولة إسلامية مستقلة اضطلعت بدور بالغ الأهمية فى انتشار الإسلام فى تلك المنطقة عامة وفى الحركة التجارية خاصة وتشير إحدى وثائق الجنيزة القاهرية إلى أن أحد التجار من منطقة طرابلس بليبيا وكان يسمى اللبيدى- نسبة إلى لبيدة- توقف فى دهلك لأغراض التجارة وهو فى طريقه من مصر إلى الهند وذلك قبل عام ٤٩٠هـ / ١٠٩٧م (١٢٢). وليس أدل على كثرة الوافدين من العرب المهاجرة إلى دهلك. واستقرارهم بها من تلك النقوش الشاهدية الكثيرة التى عثر عليها فى دهلك والمحفوظة فى العديد من المتاحف كما سبق القول.

وبعض هذه النقوش غير مؤرخة، ولكن يمكن حصر تاريخها فيما بين القرنين ٢-٤هـ / ٨-١٠م، وقد انتسب الأشخاص المنقوشة أسماؤهم على هذه النقوش إما إلى القبيلة أو الموطن أو المهنة كما أن بعضهم لم ينتسب إلى هذا أو ذاك ، وحسبنا أن نذكر من بين هؤلاء وأولئك كل من فاطمة ابنة أحمد بن سعد المكى (ق ٢هـ / ٨م) ، وأم أبو العباس محمد بن أحمد بن سعد المكى (ق٢ هـ / ٨م) ، وعبيد بن يحيى بن عبيد الصائغ (ق ٢-٣هـ / ٨-٩م) وإبراهيم بن محمد بن سعد البغدادى (أواخر ق٢ هـ / ٨م) ، وحمدونة ابنة المتوكل بن زيد (ق ٣هـ / ٩م) ، ويعقوب بن يوسف بن إبراهيم المزنى (أواخر ق ٣هـ / ٩م) ومحمد بن يعقوب بن يوسف المزنى (ق ٤ هـ / ١٠م) ، وإسماعيل بن أحمد المزنى (أواخر ق٣ هـ / ٩م) ، وعيسى بن محمد بن عيسى المزنى (أواخر ق٣ هـ / ٩م)، وسداد بن عثمان بن عبدالله (ق ٣هـ / ٩م)، وعلى بن بشر زاد الفارسى (ق ٣هـ / ٩م) ، أو أوائل ق٤ هـ/ ١٠م) ، وأم خديجة ابنة أحمد بن عبد الرحمن (ق٣هـ / ٩م) ، ورقية ابنة محمد ابن أحمد عبد الرحمن (ق٣هـ / ٩م) ، وأم الزنجى محمد بن على بن الحسين ابن على الصفار (أواخر ق٣ هـ/ ٩م) ، وأم أبى العباس بن فضل بن العباس بن الوليد (ق٤ هـ / ١٠م) ، وأحمد بن أيوب محمد بن سليمان (ق٤ هـ / ١٠م) ، وعائشة ابنة أحمد بن عبيد (ق ٤ هـ / ١٠م) ، وأم إبراهيم ولد محمد بن

عثمان بن يحيى (ق٤هـ / ١٠م) وأم أحمد الرومى بن على بن الحسين الصفار (ق٤هـ / ١٠م) وأم حرمية مولاة إسحاق بن إبراهيم البلاقى (ق٤ هـ / ١٠م) ، ويحيى بن الحسين المطرنى (ق ٤ هـ / ١٠م) ويونس وقاسم ابنى إدريس بن يعلوم (ق٤ هـ / ١٠م) ورقية ابنة عبد الرحمن بن محمد (ق ٤ هـ / ١٠م) ويحيى بن زكريا المدنى (ق٤ هـ / ١٠م) وصفية ابنة ابراهيم بن غسان (ق٤ هـ / ١٠م) وأحمد بن عبيد البصرى (ق٤هـ / ١٠م) ، ويوسف بن اسماعيل (ق٤ هـ / ١٠م) وأبى عبيدالله مصعب الزبيرى (ق٤ هـ / ١٠م) ، و... بن مسلم القيسى (ق٤هـ / ١٠م)وأبى الحسن على بن وصيف مولى يوسف بن اسحاق النجار (ق٤ هـ / ١٠م) وأم شعلان مولاة أحمد بن سعد الملكى (ق٤ هـ / ١٠م) ، ويحيى بن الحسين المصرى (ق ٤ هـ / ١٠م) ، وفاطمة ابنة الحسن بن عيلان (ق٤ هـ / ١٠م) وأبى على الحسن بن أحمد بن شكر (ق ٤ هـ / ١٠م) .

أما النقوش المؤرخة ، والتى تنحصر فيما بين عامى (٢٩٩-٩٤٦هـ / ٩١١-١٥٣٩م) كما سبق القول، فلا تختلف دلالات نسبة الأشخاص عن نفس الدلالات المشار إليها فى النقوش غير المؤرخة وحسبنا أن نذكر منها كل من : يحيى بن عثمان بن عبدالله (ت ٢٩٩هـ / ٩١١م)، وأبو محمد عبدالله بن عباس (ت ٣٠٨هـ / ٩٢٠م) ، وأبى زكريا يحيى بن يعقوب بن يوسف المزنى (ت ٣٢٢هـ / ٩٣٣م) ، وأبى سعيد عثمان بن يحيى بن عثمان (ت ٣٢٣هـ / ٩٣٤م) وأم فاطمة أم ولد يحيى بن عثمان بن عبدالله (ت ٣٢٦هـ / ٩٣٧م) ، وفاطمة ابنة يحيى بن عثمان بن عبدالله (٣٢٦هـ / ٩٣٧م)، وفاطمة ابنة إسماعيل بن إبراهيم المزنى (ت ٣٢٦هـ / ٩٣٧م)، وإسماعيل بن محمد بن أحمد الشامى القرشى (ت ٣٣٣هـ / ٩٤٤م)، وأبو عبدالله محمد ابن إسماعيل بن محمد بن أحمد الشامى القرشى (ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م) ، ووالدة محمد بن القاسم الوبار (ت ٣٤١هـ / ٩٥٢م)، وعبدالله بن يحيى (ت ٣٤١هـ / ٩٥٢م)، وحسناة ابنة حفص بن عمر بن حفص بن عمر اليمانى (ت٣٦٩هـ / ٩٧٩م) و ... بن السرافى (ت ٣٨٩هـ / ٩٩٨م، وعبد الواحد بن الحسين الزيات (ت ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) ، وخديجة ابنة الحرمى (ت٤٠٧هـ / ١٠١٦م)، ويحيى بن عبدالعزيز بن عمر البصرى (ت ٤١٠هـ / ١٠١٩م) ، أم الخير ابنة العباس بن الفضل الحجازى (ت ٤١٦هـ / ١٠٢٥م) ومحمد بن موسى بن محمد القيسى (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)، وكعب بن خليفة بن عبدالله بن محمد القيسى (ت ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م) وخديجة ابنة عبدالله إبراهيم بن أحمد العثمانى (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) ، وأبو محمد إسماعيل بن الحسين محمد بن هرون البصرى (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) وحسناء ابنة عبد

الواحد بن الحسين ابن على الزيات (ت ٤٣٥هـ / ١٠٤٣م) ، أحمد بن عبدالله بن أحمد النجار (ت ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) ومحمد بن اسحق بن جيدا (ت ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) والحسين بن خليفة بن عبيدالله بن محمد القيسى (٤٣٨هـ / ١٠٤٦م)، وفاطمة ابنة محمد الخياط (ت ٤٣٩هـ / ١٠٤٧م)، وعيسى بن على الفسانى (ت ٤٥٢هـ / ١٠٦٠م) ، وأم شعيب مولاة الحسين بن عبدالله بن أحمد الكندى (ت ٤٦٤هـ / ١٠٧١م)، والمبارك مولى عبدالواحد البغدادى (ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م) وأم محمد بن إقبال مولى أحمد بن محمد التفليسى (ت ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م)، وعثمان بن عاصم البسطامى (ت ٤٧٣هـ / ١٠٨٠م)، وعثمان بن غانم البسطامى(ت ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م)، وعبدالملك بن عيسى الأغماتى (ت ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م) ، والوليد مفرج مولى خلف بن البناء (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) وزينب ابنة الحسين بن إسماعيل بن عبدالله الجبيلى (ت ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م) ومحمد بن حسن بن عبد الرحمن بن محمد بن راشد الأندلسى البلنسى (٤٧٩هـ / ١٠٨٦م) ، وعلى بن الحسين بن على بن شعيب (ت ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م) ، وعنبر مولى عبد الكريم بن إبراهيم بن محمد الملكى (ت ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م) ، ومحمد ابن الحسين بن محمد بن الحسين الشعرانى (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م)، وولد بن سلامة بن سعيد الحرانى (ت ٤٨١هـ / ١٠٨٨م) وفاطمة ابنة مفرج مولى خلف بن مرزوق البناء (ت ٤٨٣هـ / ١٠٩٠م)، وسليمان بن محمد ... القيسى (ت ٤٨٤هـ / ١٠٩١م)، وأحمد بن محمد... المزنى (ت ٤٨٤هـ / ١٠٩١م) و ... بن على الجبلى (أو الجبلى) العكى (ت ٥١٤هـ / ١١٢٠م) والعريف محمد ابن منبه بن سبيث الدهلكى (ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م) ، والفقيه مسلم بن عيسى بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن يوسف بن حامد بن يحيى العكى (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) والشيخ سالم بن محمد بن حسن بن عبدالله الشحرى (ت ٦٠٧هـ / ١٢١٠م)، والتاخذا رزق الله بن عبدالله الحبشى القرواشى (ت ٦١١هـ / ١٢١٤م) ، وأم ... حسن مولاة محمد بن عيسى بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن يوسف بن حامد يحيى العكى (ت ٦٢٥هـ / ١٢٢٧م)، والشاب التلميذ الزاهد أبى عبدالله محمد بن الشيخ سليمان بن نصر الكاتب بدهلك (ت ٦٣٢هـ / ١٢٤٣م) والشيخ الكبير أبو الحسن على ابن عيسى المدينى (ت ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م) ، والشيخ سليمان بن نصر الكاتب بجزيرة دهلك (ت ٦٥٣هـ / ١٢٥٥م)، وصفية ابنة على بن عيسى المدنى (ت ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م)، وجمال الدين محمد بن سعيد التهامى (ت ٨١١هـ / ١٤٠٨م) وغيرهم (١٢٣).

هذا فضلا عن أسماء سلاطين دهلك وأمهاتهم وأولادهم وأسماء بعض الوزراء والقواد والموالى.[١٠]

وهكذا، وعلى ضوء تلك النقوش الشاهدية، نستطيع أن نرسم صورة صادقة للمجتمع العربى الإسلامى بجزيرة دهلك فمن حيث تركيبته السكانية، كان هذا المجتمع يتكون فى أغلب عناصره من أبناء القبائل العربية المهاجرة إليه من الجزيرة العربية وهو ما يتضح من نسبة هؤلاء إلى القبيلة أو الموطن مثل المزنى والمكى والمدنى أو المدينى والحجازى والقيسى واليمانى والقرشى والحرمى والكندى والعكى والشحرى والتهامى. وقد جذبت الجزيرة إليها أنظار الكثيرين من أبناء الأقطار العربية والإسلامية الأخرى الذين وفدوا إليها من مختلف تلك الأقطار، ومن المرجح أنه كان وراء ذلك ازدهار الحركة التجارية بجزيرة دهلك مما دفع هؤلاء إلى القدوم إليها والاستقرار فيها، وهو ما يتضح من نسبة هؤلاء إلى مواطنهم الأصلية التى وفدوا منها مثل المصرى من مصر والغسانى والحرانى والشامى من بلاد الشام والبصرى والبغدادى من العراق والفارسى والسيرافى والبسطامى والتفليسى من إيران وآسيا الوسطى والسوسيى (إما من السوس بإقليم خوزستان أو عربستان الفارسى أو من إقليم السوس بالغرب الأقصى سواء السوس الأدنى أو السوس الأقصى وكان بينهما مسيرة شهرين على حد قول ياقوت الحموى فى معجمه أو من سوسة فى تونس وهو ما رجحته شنايدر) . والأغماتى من المغرب الأقصى والبلنسى من بلنسة بالأندلس وغير ذلك.

ومن حيث الحرف والوظائف المختلفة تطالعنا هذه النقوش بأسماء الكثير منها مثل الصفار والصائغ والنجار والبحار والوبار والخياط والزيات والبناء والكاتب والعريف والفقيه وغير ذلك ، وهو ما يدل على أن الجزيرة كانت تتمتع بقدر كاف من الاكتفاء الذاتى فيما يتعلق بالحرف والصناعات المرتبطة بالحياة اليومية لسكانها .

هكذا ساهم العرب بحركتهم التجارية فى الملاحة عبر ساحل شرق أفريقيا ووصولاً إلى مدغشقر وجزر القمر فى منظمة مشتركة مع العناصر الوطنية من الأفارقة.

ثالثًا : أثر الحركة التجارية فى انتقال التأثيرات السياسية والاقتصادية على ساحل شرق أفريقية:

شجعت الحركة التجارية التى وصل تأثيرها ساحل شرق أفريقيا والجزر الحيوية فى مدغشقر وجزر القمر على زيادة الاتصال بين سكان هذه المناطق التى تنامى اقتصادها بشكل فعال (١٢٤)، فبرزت هذه العلاقات التجارية تشكل جزءا من عملية عالمية . وتكون فى واقع الأمر فرعًا من الطريق التجارى الكبير الذى يربط الشرق بالغرب ، وعلى هذا الطريق لم تكن الموانئ

الأفريقية الشرقية تمثل نقاطًا نهائية. فقد كان الطريق مستمرًا إلى مدغشقر (١٢٥)؛ ولاجدال فى أنه كانت هناك علاقات بين الساحل وبين الأقاليم المحتوية على الذهب فى الداخل قرب بحيرة نياسا، فمن هناك كان يأتى الذهب الذى ينقل إلى كيلوه (١٢٦).

وابتداء من القرن الرابع عشر ، خضعت بعض المناطق التى تحتوى على الذهب فى سوفاله لسلطة سلاطين كيلوه الذين كانوا يعينون حكامها (١٢٧) وتشهد الاكتشافات الأثرية فى منطقة الساحل على قدم هذه الصلات التى تمثلها الوكالات التجارية، ولاشك أن المناطق الحاوية للذهب قرب الزمبيزى (فى أراضى زامبيا) كانت هى الأولى التى أقيمت معها علاقات تجارية، وهو الأمر الذى يدل عليه اكتشاف أصداف الودع (الفورى) التى كانت تبادل بالذهب والعاج فى غوكوميرا وكولومو(١٢٨).

وفى أراضى كينيا الحالية فى منطقة أنغاروكا دلت الحفريات على وفرة أصداف الودع الفورى فى قرية تجارية بالإضافة إلى الحلى الزجاجية (القرنين الخامس عشر والسادس عشر من نفس النمط الذى وجد فى كيلوه وفى مدن الساحل الأخرى(١٢٩).

وهناك شاهد مباشر على وجود حركة تجارية لها صلة مع المناطق الداخلية؛ فيخبرنا الإدريسى (الذى يرجع إلى القرن الثانى عشر) بقوله : «نظرا لأنه ليس لديهم دواب فإنهم كانوا ينقلون حمولاتهم بأنفسهم، فقد كانوا يحملون بضائعهم على رؤوسهم أو على ظهورهم حتى يبلغوا مدينتى ممباسا ومالیندى وهناك يبيعون ويشترون (١٣٠).

لعبت أصداف الودع (الفورى) دوراً فى عملية التبادل كنقود فى هذه العلاقات التجارية، وهذا ما يؤكده عمليات الحفائر الأركيولوجية حتى فى داخل القارة الأفريقية(١٣١) ومثلما عثر على الخرز الزجاجية والبلورسلين الصينى، واكتشف أنواع جديدة من القطع المعدنية فى المناطق التى كانت منها التجارة أشد كثافة وأكثر تعاملا : ويرى شتيك "Chittick" أن صناعة النقود عرفتها كيلوه ومقديشيو إذ ظهرت فى كيلوه مع وصول الأسرة الشيرازية إلى السلطة والتى يرجع تاريخها إلى نهاية القرن الثانى عشر: وكانت قطع النقود هذه من البرونز ومن الفضة . وحمل المثال الوحيد من النقود التى عثر عليها فى مقديشيو عكس قطع النقود التى وجدت فى كيلوه تاريخا هو ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م(١٣٢) وعثر على قطع من النقود فى كثير من المراكز التجارية الكبيرة فى كيلوه كيسوانى ومافيا وفى كيلوه فى جزيرة جوانى وفى جزر زنجبار وبمبا ، كما نجد بضعة نماذج لها فى كينيا مما تعكس هذه القطع النقدية صورة الوكالات التجارية فى الساحل وفى الجزر المجاورة لها ؛ وتوضح كبر حجم العمليات

التجارية(١٣٣).

لقد كانت التجارة وهى أكبر مصدر للربح هى سبب ثروة مدن شرق أفريقيا وأساس التطور الاجتماعى والثقافى للمجتمع السواحيلى، وقد أتاحت التجارة بحكم طبيعتها ذاتها للسواحليين الاتصال بحضارات مختلفة والاقتباس منها ونعنى بذلك الحضارات العربية والفارسية والهندية(١٣٤).

كانت سلع التجارة التى تجذب مجتمعات البحر الأحمر من المدن الساحلية كثيرة ومتنوعة؛ ولكن أهمها العاج وأصداف السلاحف والعنبر والبخور والتوابل والذهب والحديد(١٣٥).

وكانت موانئ شرق أفريقيا تعرف منذ بواكر تاريخها بصادراتها التى كان معظمها يتألف من المنتجات الطبيعية كالعاج الذى وصلت صادرته حتى الصين(١٣٦) والعنبر وجلود الفهود. وأصداف السلاحف . وقد بدأ تصدير الذهب من المناطق الجنوبية فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى؛ واشتهر ساحل بندار بصادراته من البخور والعطور والزيوت العطرية مثل البلسم والمر(١٣٧).

ومع نزول الهجرات العربية إلى مدغشقر وجزر القمر أخذوا يصدرون الأوانى المصنوعة من الحجر إلى كيلوه وماندا وما وراءهما (١٣٨).

وكان الفلفل والزنجبيل والقرفة من التوابل المطلوبة فى الأسواق العالمية هذا بالإضافة إلى الهيل والخولنجان والاهليلج وكلها دخلت بصفة أساسية فى صناعة العقاقير الطبية وفى الأغنية والمشروبات (١٣٩) . ومن الأخشاب ذات الرائحة الذكية والتى شاع استعمالها بكثرة خشب الصندل الذى كثر فى جزر المحيط الهندى بمدغشقر وجزر القمر؛ بالإضافة إلى اللؤلؤ والجواهر (١٤٠)؛ وما يزال عدد كبير من الأسئلة مطروحًا على بساط البحث كيف كانت تجمع المنتجات التى تصدرها المناطق الساحلية والجزر نحو مجتمعات البحر الأحمر، وكيف كان يتم طوال تلك القرون تنظيم تجارة العاج؛ وتجارة جلود الحيوانات فهل كانت توجد وكالات تجارية مترابطة لنقل تلك المنتجات ومن هم الوسطاء الذين كانت تمر عبرهم، وما هى المنتجات التى كانت فى مقابل ذلك تصل إلى داخل القارة انطلاقا من الساحل الشرقى وجزر القمر ومدغشقر .

أكدت الدراسات الحديثة حول نشاط الحركة التجارية فيما بين مدغشقر وجزر القمر والساحل الشرقى من القارة بوصول العديد من التأثيرات إلى هذه الجزر، وقيام مدغشقر والقمر بتوزيع الأدوات المصنوعة من حجر الصوّان إلى ساحل كيلوه (١٤١).

رابعا : انتقال التأثيرات عبر ساحل شرق أفريقيا إلى مدغشقر وجزر القمر:

مع ازدهار التجارة بساحل شرق أفريقيا ، وتفتح الثقافة البحرية السواحلية، ترددت جماعات من المسلمين القادمين من هذا الساحل الشرقى من أفريقيا على جزر القمر ومدغشقر وأقيمت حركة من التبادل بين ضفتي قنال الموزمبيق (١٤٢). كما أوضحنا سابقًا، وكانت هذه العلاقات على أحسن ما يرام، ومع استقرار الجاليات من السكان المسلمين فى أرخبيل القمر وفى بعض المناطق من مدغشقر والقمر (١٤٣). وهم يحتلون جزرًا بمثابة مراحل بين الحركة التجارية السواحلية القائمة على ساحل أفريقيا الشرقى، وبين مدغشقر ، محافظة على تقاليدها الثقافية المحلية، أما فى مدغشقر ذاتها فلابد من التنبه إلى وجود فوارق جزئية ، فالجنوب الشرقى، وهو أبعد المناطق عن مراكز إشعاع الحضارة السواحلية ، قد أدمج تدريجيًا ضمن المجموعة الملجاشية مع احتفاظه ببعض السمات المتميزة ، وبالمقابل فى الشمال الغربى استمر سليلو الجماعات التى اتخذت الطابع الإسلامى ؛ وهم الذين بقوا على صلة وثيقة بإخوانهم فى الدين تجار جزر القمر ووكالات أفريقيا ، ما زالوا يحافظون حتى الآن على أصالة حقيقية تضفيها عليهم أنسابهم وشيمهم وتقاليدهم بصفتهم من مرتادى البحار(١٤٤).

وتتحدث روايات قمرية وملجاشية عن وصول أجدادهم الأوائل وهم المنتسبون إلى أصول عربية . هاجروا نتيجة الضغط السياسى والعقائدى. وتشير رواية قمرية أن مسلمين سينين وصلوا إلى جزيرة أنجوان حوالى القرن الرابع عشر ؛ بفعل الهجرة من بلاد فارس هربًا من هيمنة الزيديين (١٤٥). وتعكس هذه الروايات تعلق هذه الأطراف بالانتساب إلى أشهر مراكز الإسلام بغية التمكن من فرض نفسها وإبراز أصالتها العربية والإسلامية فى آن واحد(١٤٦).

ولئن كانت الروايات الشفاهية تلح على الأسباب الدينية فى تفسيرها لرحيل جماعات من العرب فسرعان ما كان لجاذبية جزر القمر ومدغشقر تأثير قوى جدًا على استقطاب العديد من المهتمين بتجارة العالم السواحيلى . بيد أن دراسة الرحلات البحرية العربية فى غرب المحيط الهندى، ومعرفة وكالات الشرق الأفريقى ووجود تقاليد ثقافية فى جزر القمر، وفى شمال غرب مدغشقر وهى ما تتشابه مع تقاليد العالم السواحيلى ، وما تم اكتشافه فى مواقع شرق الجزيرة وجنوب شرقها من آثار تشهد شهادة ساطعة على وجود علاقات تجارية بين

البلد والموانئ الأفريقية(١٤٧).

لقد عرفت المدن والجزر الموزعة على الساحل الأفريقى الممتد من مقدشيو إلى سفالة حركة تجارية حتى من قبل استقرار جاليات إسلامية. وهذه الموانئ المتجهة نحو البحر أكثر من اتجاهها نحو الداخل . والتى أخذ ازدهارها يبرز بداية من القرنين الثانى عشر والثالث عشر. وقد لعبت الوكالات التجارية دور محطات بين الجزيرة العربية- بل بين الهند- من ناحية، ومدغشقر وجزر القمر من ناحية أخرى، زد على ذلك أن العديد من النازحين المسلمين الذين كانوا يقدمون إلى هذه البلاد كانوا متشبعين كثيراً بالثقافة السواحلية؛ وكان دورهم أساسيًا فى نشر الإسلام فى الجزيرة(١٤٨).

وتتشابه وكالات الشمال الغربى الملجاشى ووكالات القمر مع مدن الساحل لشرق أفريقيا، سواء فى ملامحها أو فى نمط عيش سكانها ، والأطلال المتبقية مع القلاع المحصنة وآثار الجوامع والدور العتيقة التى لا تزال موجودة فى أنجوان بأبوابها المزدانة بزخارفها ؛ لتشهد كلها بحياة طبعها الإسلام بعمق . كما تشهد بالحضارة العربية في المحطات التجارية فى موتسامودو، وأوانى ودومونى وسيما (١٤٩). وقد خلف البرتغاليون على الرغم من آرائهم الاستعمارية ، أوصافًا مهمة لحياة موانئ شمال غرب مدغشقر في بداية القرن السادس عشر من ذلك أنهم كتبوا فى حديثهم عن محطة نوزى لانجانى، إحدى المحطات التجارية الأكثر أهمية : «إن سكانها (سكان لولانجانة) يتألفون من مسلمين هم أكثر تمدنًا وأكثر ثراء من الذين يقطنون كل النقط الأخرى من الساحل ، لأن مساجدهم وجل منازلهم كانت مبنية من الحجر الجيرى ولها سطوح على طريقة كيلوة وممبسة(١٥٠) وقد اكتشف فى موقع ماهيلاكا بقايا من تحصينات شبيهة بتحصينات الساحل الشرقى من أفريقيا. وقامت بالخلجان العميقة التى تكثر فى الشاطئ الشمالى من الجزيرة مثل خلجان امبازيندافا . وما هاجبمبا. ويونيا سلسلة من الوكالات التجارية (ماهيلاكا ، وسادا، ونوزى، ولانجانى، ونوزى بونيا) لها علاقات متينة بجزر القمر وبأفريقيا وتساهم فى الثقافة البحرية السواحلية(١٥١).

وعلى الرغم من المنافسة الأوروبية بداية من القرن السادس عشر فقد ظلت الجاليات الإسلامية تمارس دورها فى نشاط مدغشقر .

أما عن جزر القمر وبخاصة جزيرة أنجوان فقد استقبلت إندونسيين وبانتو، فإن هؤلاء قد اكتسحتهم موجات متعاقبة من الداخلين فى الإسلام. أصلهم من ساحل شرق أفريقيا(١٥٢).

وتؤلف جاليات المسلمين فى شمال غرب مدغشقر جماعة الأنتالاوتسيه وهى جماعة

والخلاصة :

تشهد هذه الفترة المنوطة بالدراسة أن ساحل شرق أفريقيا وجزر القمر ومدغشقر قد بلغا مرحلة من الازدهار بد أن أرسيت الوكالات التجارية وهى التي انتقلت من موانئ البحر الأحمر خلال فترة الرواج الاقتصادى عصر دولة سلاطين المماليك؛ وهى التى احتضنت التجارة الكارمية خلال فترة ثلاث عقود من الهيمنة الاقتصادية ؛ انعكست علي موانئ الساحل الغربى فى البحر الأحمر فى سواكن ومصوع وعصب . وأصبح ميناء عيذاب واحدا من أعظم موانئ العالم من حيث عدد المترددين عليه، وهو ما جعل دولة سلاطين المماليك تولى الاهتمام بالتوجه المصري نحو الجنوب وأقصد به أمن البحر الأحمر من النظرة الإقليمية واحتواء مملكة المقرة المسيحية فى سياسة الردع العسكرى دون موادعة أو أمان فى بقط لا جدوى منه .

وتنشط الحركة التجارية عبر ساحل عدن ومنطقة شرق أفريقيا وصولاً إلى ذهب سفاله فقد كان لذهب سوفاله الذى تشرف عليه كيلوه الصدارة فى تلك التجارة؛ حيث قدر الإنتاج طيلة هذه القرون بعشرة أطنان سنويًا؛ وكانت المراكب تحمل إلى الساحل منتجات شتى تؤكد المصادر أهميتها ومن ضمنها الودع الغورى والملابس والحلى المصنوعة من الزجاج إذ كانت تباع للأفارقة بأثمان مرتفعة .

إذا كان عصر دولة سلاطين المماليك يمثل أوج الازدهار لتجارة الشرق الإسلامى فقد مثلته هذه الحركة التجارية التى أرست القواعد والأسس التى قامت عليها وكالات المحيط الهندى التى أرسيت فيها أسس ثقافة أفريقية، بنيت عليها بعد ذلك الثقافة السواحلية الغنية. لقد بدأ التطور السياسى والاجتماعى لشعوب الساحل الناطقة بالبانتو يتأثر بقيام التجارة الدولية فى المحيط الهندى؛ وقد تجلى القدر الأكبر من هذا التأثير فى المجال الاقتصادى، حيث أخذت الحياة السياسية والثقافية والدينية تتشرب الأفكار والقيم التى جاء بها المهاجرون من البلدان الإسلامية.

أثبتت الدراسة أنه فى عصر دولة سلاطين المماليك حافظت على إحكام قبضتها على شبكة الطرق البحرية الحيوية فى البحر الأحمر إلى مناطق الساحل الشرقى من القارة وجزر المحيط الهندى ويقدر نجاحها فى الهيمنة الاقتصادية واحتواء تجارة الكارم، فقد أسهمت فى وجود طبقة من التجار الأفارقة مسلمين كانوا أو غير مسلمين لعبوا دورًا فى أسباب التواصل بين

منطقة المحيط الندى ومجتمعات ساحل البحر الأحمر ؛ حتى وصول البرتغاليين واحتكارهم لتجارة التوابل .

وتبرز أهمية جزر القمر ومدغشقر في أنها مزيج من الأفارقة والعرب ، فإن الثقافة المحلية توحد بينهم بفضل الدين الإسلامى .

كما اعتبرت تلك الجزر بمثابة وكالة تجارية لعبت دوراً اقتصادياً فى الوساطة التجارية بين تجارة المحيط الهندى ومراكز البحر الأحمر وخاصة مصر وشبه الجزيرة العربية.

ملاحق البحث

الخرائط والأشكال التوضيحية

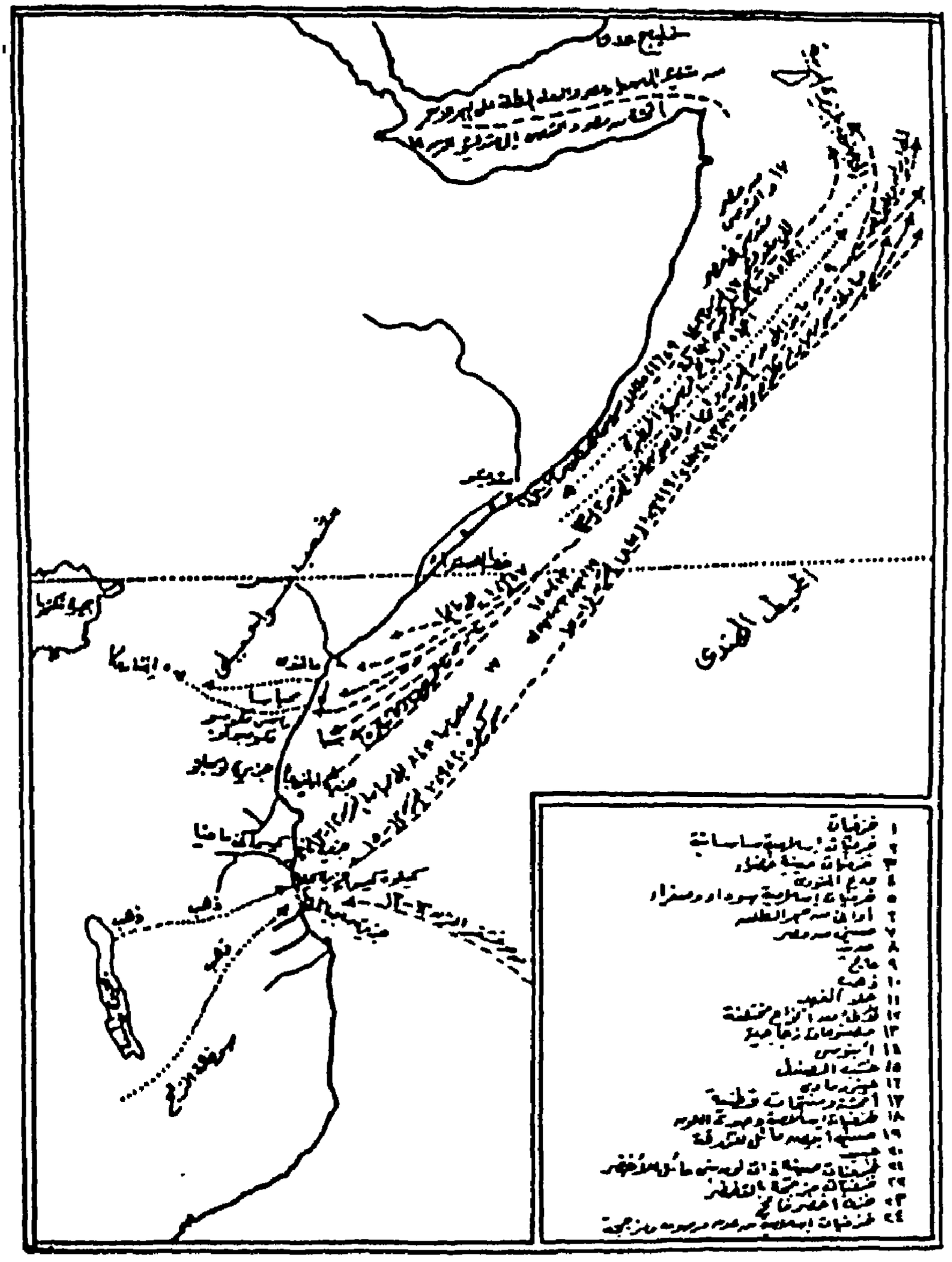

شكل رقم (١) : التجارة الداخلية وعبر المحيط للمدن الساحلية بشرق افريقيا بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر

المصدر : ف . ف . ماتفييف : ص ٤٦٦

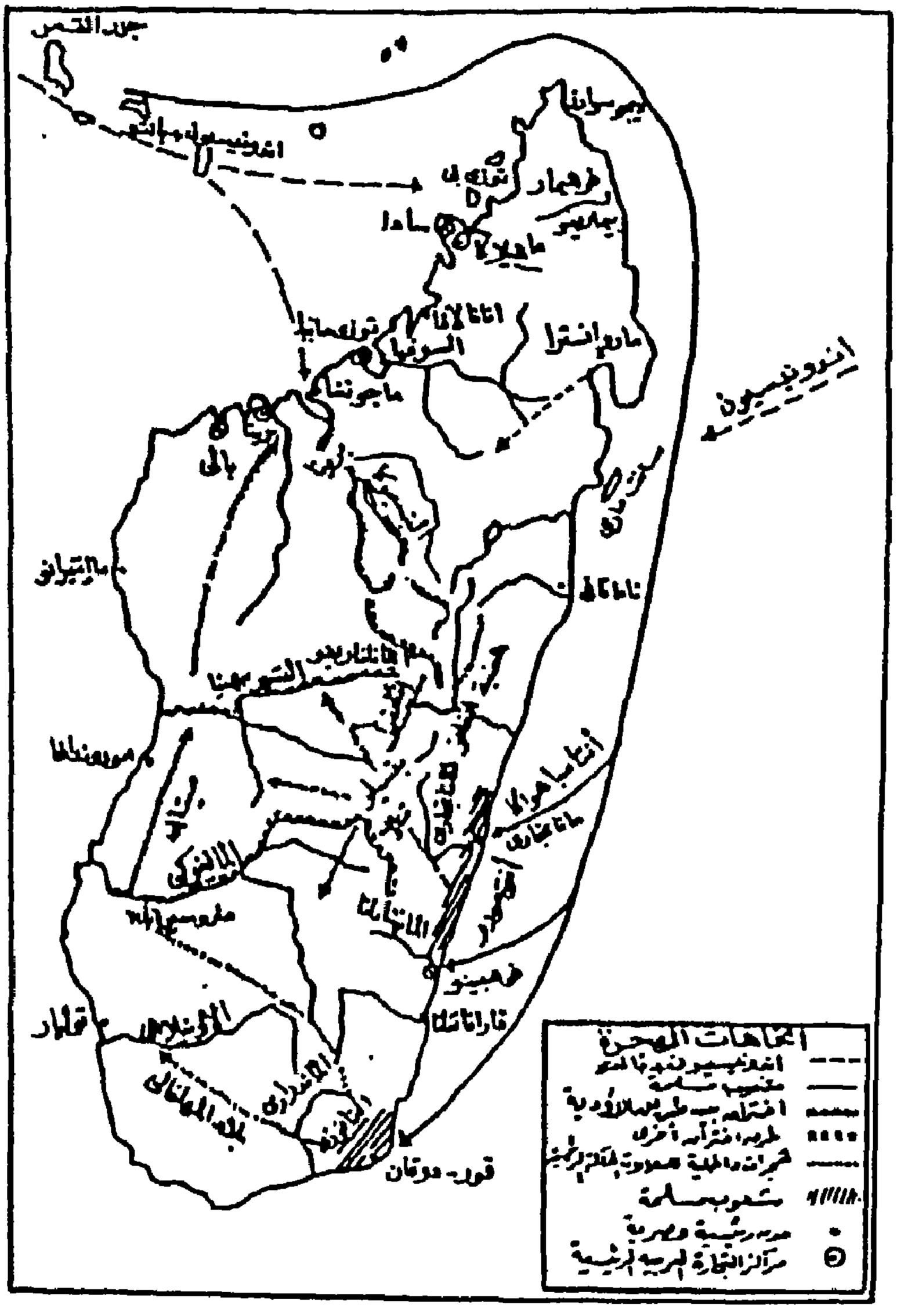

شكل رقم (٣)

مدغشقر : اتجاهات الهجرة والاستيطان . المصدر : ف . ايزوالفيلوماندروزو ، بمعاونة ت . راجاونا وباستخدام أطلس

مدغشقر . س . ايانش وأطلس شعوب مدغشقر (ف . رلميانداراوزوا) .

ملاحظات : وصلت آخر موجات الأندونيسيين بين القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، وكانت القاعدة الرئيسية للشعوب المسلمة (سواحيلى وعرب) فى جزر القمر ومنها داروا حول الجزيرة عن طريق الشمال .

عن : ايزوالفيلو ماندروز : مدغشقر والجزر المجاورة ، م. الرابع ، اليونسكو ١٩٨٨ ، ص ٥٩٦

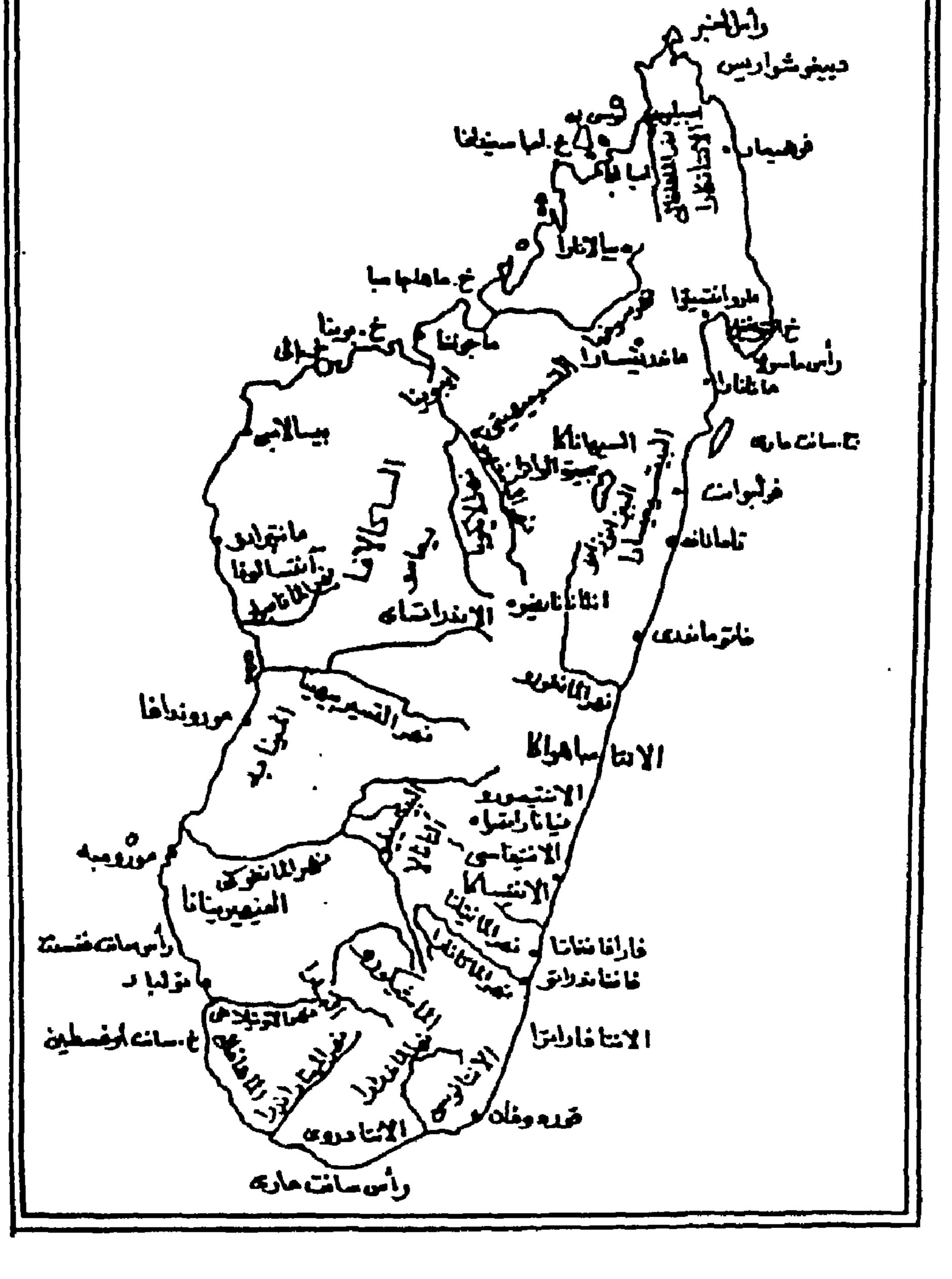
رأس الخير
دييغو شوارييز
فوهيمار
ماجونجا
ماهاجانجا
ماهاتانا
تاماناف
فولبوانا
انتانانارينو
فاتوماندي
الانتاسهاكا
الانتيمورو
الانتيسيكا
الانتيفاتسي
الانتانالانا
الانتاندروي
رأس سانت ماري
موروندافا
مانجيرو
مانهارو
بيالامبو
الانتيمورو
الانتيمورو
الانتيمور

هوامش البحث

١- يحتل البحر الأحمر الشقة المائية الضيقة التى تفصل بين آسيا وأفريقية، ويقع فى أخدود ممتد من جنوبى سورية إلى تنجانيقا ؛ ويمتد مسافة طولها ١٥٠٠ ميل، ويتراوح عرضه ١٩٠ ميل عند مصوع و١٤ ميلا في منطقة باب المندب ويصل عمقه فى بعض المواضع أكثر من ٦٠٠٠ قدم انظر: المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، طبعة بولاق ، ١٢٧٠هـ، ح١ ، ص١٦ ؛ عطية القوصى : تجارة مصر فى البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة بالقاهرة ، ١٩٧٦، ص١٠ ، ١١ ؛ محمد حسين الزبيدى : هجرة العرب والمسلمين إلى شرق أفريقيا، بدايتها الأولى، مجلة المؤرخ العربى ، العدد الثالث والعشرون، ١٩٨٣، ص١٠٤ ؛ انظر تعريف أرض الزنج ومنطقة ساحل شرق أفريقية السر سيد أحمد العراقى : أرض الزنج الإسلامية فى العصور الوسطى، مجلة كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، العدد الثانى ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤ م، أم درمان، ص٢٥؛ المؤلف نفسه : معالم الحضارة الإسلامية فى ساحل شرق أفريقيا فى العصور الوسطى، مجلة دراسات أفريقية ، المركز الإسلامى الأفريقى بالخرطوم، العدد الثانى، ١٩٨٦ ، ص٨٣ .

٢- من المرجح أن العرب هم أصحاب تسمية جزر القمر، فينكر ياقوت الحموى فى كتابه «معجم البلدان» أن «القمر بالضم ثم السكون: جمع أقمر ، وهو الأبيض الشديد البياض، ومنه سمى القمرى من الطير.. وقمر بلد بمصر والقمر أيضاً جزيرة فى وسط الزنج ، وليس فى ذلك البحر جزيرة أكبر منها، فيها عدة مدن وملوك ، كل واحد يخالف الآخر. انظر : الحموى : معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى، ج٤ ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠ ، ص٤٥٠؛ السيد فليفل : التطور التاريخى لجزر القمر، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ٢٠٠٢، ص٤٧ ؛ وجزيرة قنبلو أو مدغشقر هى نفسها جزيرة الأقجية التى أشار إليها الإدريسى الذى عاش فى القرن السادس للهجرة/ الثانى عشر للميلاد وقال إن «أهلها أخلاط وإن الإسلام غلب عليها» انظر : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، نسخة مصورة بجامعة القاهرة بدون تاريخ، ص٣٤ .

٣- يذكر أن ابن فاطمه بلغ ساحل سفالة الزنج، وعرف جيداً جزيرة مدغشقر انظر:

Ferraud, G., Relation de voyages et textls Geographigues Arabes, Persans et turks relatifs a l'Extreme - Orieut du XIII siscles paris 1914, pp. 217-320 .

أنور عبد العليم : الملاحة وعلوم البحار عند العرب، العدد ١٣، ط . عالم المعرفة الكويت، ١٩٧٩، ص٧٤ .

٤- أن سكان جزر القمر الأربعة : نجازيجا (أنجزيجة) وأنجوان ومايوت وموهيلى ، مزيج من العرب والجاويين والشيرازيين والأفارقة ، وقد نزلها عرب المناذرة وغيرهم من قبائل عمان، وحضرموت واليمن؛ انظر : سعيد المغيرى: جهينة الأخبار فى تاريخ زنجبار، تحقيق عبد المنعم عامر ، مصر ١٩٧٩ ، ص٣٠٤ –٣٠٥ ؛ انظر الخريطة شكل رقم (٣) .

٥- انظر : ف. ايزوافيلو ماندروزو : مدغشقر والجزر المجاورة من القرن الثانى عشر إلى القرن السادس عشر ، المجلد الرابع اليونسكو. دراسات ووثائق ، ط بيروت ١٩٨٨ ، ص ص٦٠٢-٦٠٣ ؛ وانظر أيضا : ماساو وهنرى و. موتورو : ساحل أفريقيا الشرقى وجزر القمر ، اليونسكو، المجلد الثالث، الطبعة الثانية ١٩٩٧، فى ٦٧٦ .

٦- انظر الخريطة شكل رقم (٤،٣) بملاحق البحث ؛

Verin, P., : les antiquites de l'ile d' Anjauan, B AM (1967 a) v 45, I, pp. 69-80.

٧- آمال العمرى : المنشآت التجارية فى القاهرة فى العصر المملوكى. جامعة القاهرة، كلية الآثار ١٩٧٤، (مخطوط رسالة دكتوراه) ؛ أبى حامد المقدسى الشافعى: الفوائد النفيسة الباهرة فى بيان حكم شوارع القاهرة فى مذاهب الأئمة الأربعة الزاهرة، تحقيق آمل العمرى، ط . هيئة الآثار ١٩٨٨، ص١١-٣٧ .

٨- مجاهد توفيق الجندى: أهم الوكالات فى مدينة القاهرة ودورها الحضارى، مجلة المؤرخ العربى، العدد التاسع، المجلد الأول مارس ٢٠٠١م، ص٤٤٩ .

٩- محمد عبد الغنى الأشقر : تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩ .

١٠- Chittick, H.N. (1974), kilwa an Islamix trading city on the East African coast, 2 vol (Nairobi : British Institute in Eastern Africa.

١١- قامت دولة سلاطين المماليك نتيجة لهزيمة حملة لويس التاسع على مصر فى منتصف القرن الثالث عشر، ثم تدعم وجودها نتيجة للانتصار على المغول فى معركة عين جالوت بعد ذلك بعشر سنوات : ومنذ ذلك الحين بدأت تفرض سيادتها على المنطقة العربية لقتال الصليبيين ثم اكتسبت مكانتها بعد إحياء الخلافة العباسية فى القاهرة انظر: قاسم عبده قاسم: علاقة مصر بالحبشه فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠-١٥١٧م) ؛ (العرب فى أفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر)، دار الثقافة ١٩٨٧، ص٥٨ .

١٢- قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى عصر سلاطين المماليك . الطبعة الثانية ١٩٨٣، ص١٦-١٧ .

١٣- ابن خلدون: المقدمة، ط. القاهرة ١٣٢٢ / ١٩٠٤ ، ص٤٥٣ .

١٤- عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر، دراسة شاملة للنظم السياسية، ج١ ، الأنجلو المصرية ١٩٧٩، ص١٢٣ .

١٥- القيساريات من الأبنية التى شاع استعمالها فى مصر فى العصر المملوكى للأغراض التجارية . إذ أن قياسر التجار للكسب واستثمار الأموال، وتعلوها الرباع للتجار والصناع . كما أنها مسقوفه . وهى غير السوق الذى لايشترط فيه أن يكون مسقوفًا : وفى القياسر تنتشر المصانع الصغيرة ، وإن كانت كذلك تعرض السلع للبيع بالجملة ولكل فئة من التجار أو الصناع مكان معين، وقد ظهرت فى الشام قبل مصر ولعلها مأخوذة من كلمة قيصرية Cesaire ومن أشهر القيساريات: قيسارية الشرب وقيسارية الفاضل وقيسارية بيبرس وقيسارية بكتمر . نعيم زكى فهمى: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب أواخر العصور الوسطى ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣، ص٢٩٥-٢٩٦ ؛ صالح لمعى مصطفى: التراث الإسلامى المعمارى فى مصر بيروت ١٩٧٥، ص٧٥ ؛ كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٠، ص٥٤ ؛ سعد زغلول عبد الحميد: العمارة والفنون فى دولة الإسلام، الإسكندرية، منشأة المعارف ١٩٨٦، ص٢٠٩ ؛ مجاهد توفيق الجندى: أهم الوكالات فى مدينة القاهرة ودورها الحضارى، مجلة المؤرخ العربى ، العدد التاسع، المجلد الأول ٢٠٠١، ص٤٩٧ (حاشية ١٧) . ويشير المقريزى أن القياسر لابد أن تكون مسقوفة أما التى لايبنى فوقها مساكن فتكون مكشوفة . الخطط ج٢ ، ص٨٨ ، ٨٩ ؛ محمد عبد الغنى الأشقر : مرجع سابق، ص٢١٢ .

١٦- «الوكالات» ظهرت مبانيها لأول مرة فى عهد الفاطميين لتعنى أماكن للتجار الشرقيين ، وكثرت فى أيام المماليك وإحداها كانت تشتمل على ثلاثمائة وستين حجرة للنوم فوق المخازن، والأسواق مجموعة من حوانيت قد احتوى إحداها على اثنى عشر ألف حانوت . انظر : الخطط ، ج٢ ، ص٣٢٢ ؛ ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر. ج١ ، الأنجلو المصرية ١٩٧٣، ص١٧١: نفسه : نظم دولة سلاطين المماليك ، ج١ ص١٢٣ ؛ رفعت موسى محمد: الوكالات والبيوت الإسلامية فى مصر العثمانية، الدار المصرية اللبنانية ، ط. أولى ١٩٩٣، ص٥٢ وما بعدها ، انظر شكل رقم (٥) بملحق البحث .

١٧- اسم الفندق مأخوذ من الكلمة اليونانية Pandnkeium نقلت إلى اللغة الإيطالية لتدل على المبنى الذى أسفله مخازن وأعلاه حجرات نوم لسكنى الأجانب . انظر: الخطط، ٣ ، ص١٤٩ وما بعدها : نعيم زكى: مرجع سابق ، ص٢٩٠؛ صبحى لبيب : التجارة الكارمية المجلة التاريخية المصرية، المجلد، ١٤ ، ١٩٦٨ ، ص١٢ .

١٨- أما الأجانب من العرب والشرقيين فكانت لهم فنادق فى القاهرة وأهمها : فندق الملك السعيد بدار الرمان وتعلوه رباع واسعة، وفندق عمارة حيث نزل تجار الشام، وفندق دار التفاح لتجارة التجزئة فى سلع الفاكهة الواردة من الشام والتى تصله من وكالة قوصون وحوانيت الفنادق مسقوفة ، وكذلك فندق مسرور ظل باقيًا حتى أواخر العصور الوسطى، وللتجار الكارمية فندق بالقاهرة على شاطئ

النيل تجاه الفسطاط، وقد أوقف الفندق لسكناهم انظر: المقريزى ، الخطط ، ج٣ ، ص١٥٢؛ ابن دقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ط. بولاق ١٨٩٣ ، ج٤ ص٤٠ ؛ محمد جمال الدين سرور: دولة بنى قلاوون، القاهرة ١٩٤٧، ص٣٢٦ ؛ نعيم زكى : مرجع سابق، ص٢٩٣ .

١٩- لم يكن للأجانب فنادق بالقاهرة ، والحالة الوحيدة التى سمح فيها بإقامة فندق كان لتجار بيزا عام ١١٥٤، كما كان للسياح والحجاج المسيحيين المارين بالقاهرة وكذلك التجار خان خاص لمبيتهم وليس فندقًا بالمعنى المعروف بالإسكندرية وبه مكان لأمتعتهم وسلعهم وقلة هذه الأبنية للأجانب بالقاهرة ترجع إلى أن السلاطين كانوا يحرمون عليهم شراء التوابل والسلع الشرقية من أسواق القاهرة لذا لم يكن هناك داع لوجودهم فترة طويلة بالقاهرة . انظر : بيبرس المنصورى الدوادارى : التحفة الملوكية فى تاريخ الهجرة؛ نشر Pomer ١٩٦٠ ، وتوجد نسخة خطية وهى الجزء التاسع بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٨، ٢٤، وحققته زبيدة محمد عطا، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ١٩٧٢، ص٤١؛ ماجد: التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك، ص٢٩٣ .

٢٠- ابن بطوطة : الرحلة، ط. القاهرة ١٩٦٦، ص١٣١ .

٢١- انظر ماجد : التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك، ص٢٩٣ .

٢٢- زبدة، ص٢٨ .

٢٣- نسبة إلى الأمير جمهاركس الخليلى ات ٧٩١ / ١٣٣٩ أحد أمراء برقوق : الخطط، ٢، ص٩٤ ، ١٥٠؛ نعيم زكى : طرق التجارة ، ص٢٩٥ .

٢٤- انظر Guest and Richmond Miesr in the fifteent century , J.R.S; 1903 , p. 79 .

ابن بطوطة : الرحلة ، ص١٦ ، ص٢٤ ؛ وانظر أيضا ما ذكره عن مدينة القاهرة ص٢١-٢٥ .

٢٥- انظر : آق بغا الخاسكى (كاتب السلطان الغورى) : التحفة الفاخرة فى ذكر رسوم خطط القاهرة ، مخطوط (فى B.N) برقم ٢٢٦٥ .

٢٦- يصف بيلوتى الكريتى Pilote de crete مدينة القاهرة بأنها أكبر مدينة فى الدنيا، انظر : Dopp (P.H) L'Egypt au commencement du quanzieme siede (le Caire 1650), p. 3 .

٢٧- ابن بطوطة : الرحلة ، ص٢١-٢٥ .

٢٨- طافور : رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر الميلادى، ترجمة حسن حبشى ، دار المعارف ١٩٦٨ ، ص٩٧ ؛ قاسم عبده قاسم : دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى ، ص٣٢ .

٢٩- رحلة ابن بطوطة ، ص٣١ ؛ المقريزى: الخطط ، ج١ ، ص١٦٢ .

٣٠- انظر : ابن دُقماق : الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ج٥ ، صفحات ٢٥-٢٦ ، ٣٠ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٧١ ، ٨١-٨٢ ، ٩٩-١٠١ .

٣١- أحمد السيد دراج: عيذاب ، مجلة نهضة أفريقيا، وزارة الثقافة ، القاهرة ١٩٥٨ ، العدد التاسع والعاشر، ص٥٥ ؛ بشير إبراهيم بشير: الفاطميون والبحر الأحمر مجلة كلية الآداب ، جامعة الخرطوم، العدد الأول ١٩٧٢ ، ص١٤٩ ، ١٥٠؛ كرم الصاوى باز: ممالك النوبة فى العصر المملوكى اضمحلالها وسقوطها وأثره فى انتشار الإسلام فى سودان وادى النيل ٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠-١٥١٦م؛ رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد الدراسات الأفريقية جامعة القاهرة ١٩٩١، ص١٤ ، ٤٧ .

٣٢- إقليم قوص فى العصر الإسلامى مترامى الأطراف تبلغ مساحته فى الطول كما يقول الادفوى - مسيرة اثنى عشر يومًا سير الجمال السير المعتاد، وأما عرضه فثلاث ساعات وأكثر وأقل بحسب العامر من الأماكن ويمتد شرقًا حتى يصل إلى البحر الأحمر ، وغربًا حتى الواح أى (الواحات) ويتجه شمالاً حتى مرج بنى هميم المتصل بأراضى جرجا من عمل أخميم وينتهى جنوبًا بمدينة أسوان. انظر: الادفوى: الطالع السعيد - الجامع لأسماء نجباء الصعيد . نشر سعد محمد حسن القاهرة ١٩٦٦، ص٧-٩ ؛ ابن مماتى : قوانين الدواوين ، تحقيق جورج سوريال عطية، القاهرة ١٩٤٣ ، ص١٠٨ ، ١٠٩؛ عبدالله كامل مرسى عبده: المنشآت التجارية والصناعية بمدينة قوص منذ العصر العثمانى حتى نهاية القرن ١٣هـ / ١٩م مجلة المؤرخ العربى العدد ٩ المجلد الأول ٢٠٠١ ، ص٣١٧ ؛ محمد عبده الحجاجى : قوص فى التاريخ الإسلامى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢، ص١٥ .

٣٣- رحلة ابن بطوطة ، ص٣١؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج١ ، بيروت ١٩٥٧ ، ص١٩١ .

٣٤- ماجد : التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك فى مصر، ص٢٩٦ .

٣٥- ابن حبيب : درة الأسلاك فى دولة الاتراك مخطوط فى (BN) برقم ٤٨٦٠، ١ ورقة ٩٠ ب .

٣٦- انظر: ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج٢ ، بولاق ١٣١٢هـ، ص٢٤ .

٣٧- الخطط، ٢ ، ص١٣٣ ، ١٤١ .

٣٨- ماجد : مرجع سابق، ص٢٩٦ .

٣٩- الخطط ، ٣ ، ص١٣٣ .

٤٠- بنى فى ٧١٣ / ١٣١٣ ، وانتهى من بنائه فى ٧١٤ / ١٣١٤ نفسه، ٢ ص٣٣٢ ، ٣٤٠-٣٤١ .

٤١- الخطط ، ٣ ص٣٤٣ بناه الأشرف خليل فى عام ٦٩٢ / ١٢٩٣ .

٤٢- نفسه، ٣ ، ص٣٣١ ؛ القلقشندى: صبح الأعشي فى صناعة الانشا، ط. القاهرة ١٩١٣ ، ج٣، ٣٦٨؛ زبدة ، ص١٢١ .

٤٣- الخطط، ٣ ، ص٣٣٢ ؛ جمع خاناه وهو اسم فارسى غلب عليها نفسه، ٣ ص٣٣٣ .

صبح ٤، ص٩ ، ويتفصيل انظر دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر ، ٢ ، ص١٥ وما بعدها مثل الشراب خاناه ، والطشت خاناه، والسلاح خاناه ، والطبلخاناه، والشكار خاناه والحوائج خاناه .

٤٤- الخالدى: بهاء المقصد الرفيع المنشأ الهادى لصناعة الإنشا، مخطوط(B.N)، برقم ٤٣٩ ؛ ونسخة مصورة، دار الكتب المصرية برقمى ٢١٠٣١ ، ٢٤٠٤٥ ، ورقة ١٢٩ أ.

٤٥- الرنك : وجمعه رنوك وهو الشعار الذى يتخذه الأمير لنفسه عند تأمير السلطان له . ويقول القلقشندى: «ومن عادة كل أمير كبير أو صغير أن يكون له رنك يخصه بحسب ما يختاره ويؤثره ويجعل ذلك دهانا على أبواب بيوتهم والأماكن المنسوبة إليهم كمطابخ السكر وشئون الغلال والأملاك والمراكب وغير ذلك : صبح الأعشى ، ص ، ص٦١ ، ٦٢ ؛ محمود نديم: الفن الحربى للجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣ ، ص٢١٦ .

٤٦- انظر: عطية القوصى : وثائق الجنيزة وأهميتها فى دراسة تاريخ مصر الإسلامية ، مقال بمجلة جامعة القاهرة ، بالخرطوم العدد ٥ ، ١٩٧٤ ، ص١٨٥-١٩٠ ؛ نفسه : أضواء جديدة على تجارة الكارم، المجلة التاريخية المصرية المجلد السادس ١٩٥٧ ، ص٣٣ ؛ أيمن فؤاد سيد : عرض كتاب مجتمع البحر الأحمر المتوسط لجوانين، مجلة المؤرخ المصرى، كلية الآداب- جامعة القاهرة العدد ١، ١٩٨٨ ، ص٣٤٥-٣٤٩ .

٤٧- انظر : نعيم زكى: طرق التجارة الدولية ، ص٢٨٧ ؛ صبحى لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر فى العصور الوسطى ، ص١٢ .

٤٨- تسميهم الكتابات بالتعميم التجار المسلمين وبالتخصيص التجار المصريين . الصيرفى: نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ أهل الزمان، تحقيق حسن حبشى، القاهرة ١٩٧٠، ٣٥ ، ص٢٣٥ ، ابن حجر : ابناء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشى القاهرة ١٩٦٩، ج٣ ، ص٤٢ .

٤٩- شوقى ضيف : العلاقات التجارية بين مصر والدول الأفريقية فى عصر سلاطين المماليك، ماجستير ، جامعة القاهرة ١٩٧٥ ، ص١٤٥؛ أحمد عبد الحميد خفاجى : طبقة التجار فى مصر المملوكية، مجلة كلية الآداب ، جامعة طنطا ، العدد ١٩٨٢ ، ص٦٥ .

٥٠- زين العابدين عبد الحميد السراج : دولة كانم الإسلامية، رسالة ماجستير ، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٥ ، ص١٦٤ ؛ سعيد عاشور: العصر المماليكى فى مصر والشام ، القاهرة ١٩٧٦ ، Lewis B: The Fatimids and the Raute to india, RFSE unin, Istambul , 1949 ؛ ص٢٠٩

x 1 p. 53 .

ماجد : طومان باى آخر سلاطين المماليك فى مصر، القاهرة ١٩٧٨ ، ص٧٣ .

٥١- عزيز سوريال عطية : العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فيليب صابر سيف ، القاهرة ١٩٧٢، ص١٥٣-١٨٠ .

٥٢- ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، لندن ١٨٨٩، هـ ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ويذكر أنهم فى العصور الوسطى كانوا يركبون البحر الشرقى (البحر الأحمر) من القلزم إلى الجار وجده ثم يمضون إلى السند والهند ؛ Goitein : Jews and Arabs their Contacts through the Ages, New York , 1955 , p. 115 .

انظر عطية القوصى : مرجع سابق، ص٣٥ .

٥٣- صبح ، ص ص٣٢ .

٥٤- نفسه .

٥٥- A.S. Atiya, the Crusades in later Middle Ages London 1938 , pp. 115 , 174 . كرم حسن العلى: نيابة دمشق فى نهاية عهد المماليك ، رسالة ماجستير معهد البحوث والدراسات العربية، ١٧٨، ص٢٢٥ .

٥٦- القلقشندى: صبح الأعشى ، ج٣ ، ص٤٦٨ : المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٣٢٧ ؛ ماجد : التاريخ السياسى لدولة سلاطين المماليك فى مصر، ص٢٨٤ .

٥٧- صبح ، ص٥ ، ص١٠ ، ١١ ، المقريزى: الإلمام بأخبار من بأرض الحبشه ، ص٣٥ : ابن الديبع : بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد ، تحقيق عبدالله الحبشى، اليمن ١٩٧٩، ص٣ .

٥٨- صبح ، ١١ ، ص٣٢٠ .

٥٩- ابن فضل الله العمرى: مسالك الأبصار فى أخبار ملوك مالك الأمصار، ج٥ ، ورقة ٩٨ .

٦٠- صبح ، ٨ ، ص٧٦ ، ٧٧ ، يحيى بن الحسين : غاية الأمانى فى أخبر القطر اليمانى، ج٢ ، ٦٣٠ ، ٦٣٢ ، ٦٣٥ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ .

٦١- نقولا زيادة : الرحالة العرب ، القاهرة ١٩٥٦، ص١٨١ ؛ محمد زيتون: الصين والعرب، القاهرة ١٩٦٤، ص١٢٠ .

٦٢- انظر : محمد عبد الغنى الأشقر : مرجع سابق، ص٣٦٣ ؛ ماجد : المرجع نفسه، ص٢٨٥ .

٦٣- صبح ، ٨ ، ص٧٦ ، ٧٧ .

٦٤- الخطط، ١ ، ص٣٢٧ .

٦٥- ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٧٠، ج١٤ ص٣٦٧ ، ٣٦٩ .

٦٦- يستدل على ذلك من نقش على جامع جانى بك الذى تولاها فى الفترة من ٨٤٦-٨٤٩، ١٤٤٢-١٥٤٥ . انظر : ابن المجاور : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المعروف بتاريخ

المستبصر نشرة أوسكار لوفجرين، ١٩٥٤، ص٥١، القلقشندى : صبح الأعشى، ج٤ ص٢٥٨؛ عبد القادر الجدى: السلاح والعدة فى تاريخ جده ، ١٩٧٧، ص٧٨ .

٦٧- أنور عبد العليم : الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص١٥٩؛ شوقى عثمان : تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الإسلامية ، ص٩١، ٩٢ وما بعدها .

٦٨- المقريزى : الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة، ص٣٥؛ ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٨، ص١٢٨ .

٦٩- الرحلة، ص١٦٩، ١٧٠ ، بدر الدين الصينى: العلاقات بين العرب والصين، ص٢٤١ .

٧٠- زين العابدين عبد الحميد السراج : الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى مدن الساحل الصومالى فيما بين القرنين ٦-٨هـ / ١٢-١٤م، رسالة دكتوراه جامعة القاهرة، ١٩٨٦، ص٩٦-٩٧ .

٧١- المغيرى: جهينة الأخبار، ص٨٦ ؛ محمود الحويرى: ساحل شرق أفريقيا فى فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالى دار المعارف، ط. ١٩٨٦، ص١١٨ .

٧٢- ممبسة أو ممباسة كانت فى العصر الوسيط تعرف باسم غنغويا، وهو اسم سواحيلى، وكانت تسمي أيضا باسم امفتيا ومعناها حرب، وربما لكثرة حروبها مع المدن الأخرى، وذكر أن الذى سماها ممباسة البرتغاليون على اسم قائد من قوادهم ، انظر سعيدى المغيرى، ص٨٤ ووردت فى وثيقة كلوة العربية ص٢٧، ٣٠، ٣٤ باسم منفسة.

٧٣- لمزيد من الدراسة انظر : كرم الصاوى باز : كلوة مركز الثقافة العربية عهد أسرة المهدلى العربية، بحث قدم ضمن ندوة المراكز الثقافية والعلمية فى العالم العربى عبر العصور ٢٠٠١م.

٧٤- ماركو بولو : رحلات ماركو بولو، ترجمة عبد العزيز جاويد ، مصر ١٩٧٧، ص٢٢٩ : أنور عبد العليم، مرجع سابق، ص٧٣ .

٧٥- ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية القاهرة ١٢٩١هـ، ج٣ ، ص ١٣٤؛ نعيم زكى: مرجع سابق، ص٢٣٠ .

٧٦- ماركوبولو : مصدر سابق، ص٣٢٧ ، المغيري: جهينة الأخبار، ص١٥؛ الدمشقى: نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، ص١٦٢ .

٧٧- CF: Cuest . R " Zufarin in the Middle ages in Islamic culture 1935 , vol , p. 407 .

٧٨- انظر : أنور عبد العليم : الملاحة وعلوم البحار، ص٨٢-٨٤ .

٧٩- انظر: المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١ ط ١٢٨٣ هـ، ص٨٧ ، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة ، ص٣٥ ؛ ياقوت : معجم البلدان، ج٨ ، ص١٢٨ .

٨٠- أبو مخرمة : تاريخ ثغر عدن، ط ليدن ١٩٣٦ ، ج١ ، ص٥٦-٥٧ .

٨١- العمرى: مسالك الأبصار، ج٥ ، ورقة ٩٨ .

٨٢- القلقشندى : صبح الأعشى، ج٥ ، ص٩، ١٠؛ ابن الديبع: بغية المستفيد فى تاريخ مدينة زبيد، تحقيق عبدالله الحبشى ، اليمن ١٩٧٩ ، ص٣ .

٨٣- ابن المجاور : صفة بلاط اليمن، ص٥١ ، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٤٧٥ ، ٤٧٦ ؛ محمد عبد الغنى: مرجع سابق، ص٣١٢ .

٨٤- صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٤٧٥، ٤٧٦ .

٨٥- القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣ ، ص٣٩٢ .

٨٦- ابن بطوطة: الرحلة ، ص١٩٦ .

٨٧- نعيم زكى : طرق التجارة ، ص١٤٢ ، محمد محمد أمين: العرب والدعوة الإسلامية فى الصومال فى العصور الوسطى، مقال بمجلة الداره، العدد٢ ، ١٩٨٤ ، ص٢١٤؛ محمد عبد الغنى : مرجع سابق، ص٣١٦ .

٨٨- أبى الفدا: تقويم البلدان، باريس ١٨٤٠، ص٢٧٠ ، القلقشندى: صبح الأعشى ، ج٥ ، ص٢٣٦ .

٨٩- CF: Y.Kanal, Ed , Monumenta cartpgraphica Africa et Aegyptie tome, LV, Fax1, p. 108 .

٩٠- المقريزى : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١ دار الكتب المصرية ١٩٣٤ ، ص٥٥٠، ٥٥٨ : صبحى لبيب : التجارة الكارمية ، ص٢١؛ بشير إبراهيم بشير : عيذاب حياتها الدينية والادبية مجلة الدراسات السودانية ، العدد ٢، يوليو ١٩٧٩، ص٥٩ .

٩١- رحلة ابن جبير ، ص٤٣-٤٤ ؛ خطط المقريزى: ج١ ، ص٢٠٤ ؛ صبحى لبيب : التجارة الكارمية ، ص١٩ ؛ نفس المؤلف: سياسة مصر التجارية ص١٣٩؛ توفيق اسكندر : نظام المقايضة فى تجارة مصر الخارجية في العصر الوسيط، المجلة التاريخية المصرية، العدد السادس ١٩٥٧ ، ص١٩ .

٩٢- طافور : رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر الميلادى، ترجمة حسن حبشى، مصر ١٩٦٨٧، ص٩٧ ؛ شوقى عثمان : مرجع سابق، ص٢٠٦ .

٩٣- انظر: فاروق عثمان أباظه : أثر تحول التجارة العالمية إلى رأس الرجاء الصالح على مصر وعالم البحر المتوسط أثناء القرن السادس عشر ، الاسكندرية ١٩٨٨، ص١١٣ .

٩٤- بازل دافيد سون: أفريقيا تحت أضواء جديدة. ترجمة جمال أحمد ، بيروت، ص ٢٦٣، ٢٦٤ ، جورج

فاضلو حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندى فى العصور القديمة وأوائل القرون الوسطى، ترجمة السيد يعقوب بكر، القاهرة ١٩٥٨، ص٢٢١ ، Basil Davidson, the lost cities of Africa, USA, 1959, p. 190 .

٩٥- أخذ د. طرخان هذه الفقرة كوبلاند فى كتابه East Africa and its invaders ولم يحاول الرد عليها، فالعرب لم يكونوا غزاه لشرق أفريقيا، حيث لم نجد فى المصادر التاريخية ما يفيد وصول قوة حربية عربية إلى الساحل الشرقى، كما لم نجد بها ما يدل على انعزال العرب الذين استقروا بالشاطئ عن الأفريقيين. بل تخبرنا تلك المصادر بأنه حدث تزاوج بين العرب وأهل الساحل، كما اعتنقوا ديانة العرب واستعاروا خطهم رسما لهم، فالإسلام يوحد بين الأمم والأجناس لايفرق بينهما، كما يذيب الفوارق بين الطبقات فالأفضلية فى الإسلام للتقوى لا للجاه والسلطة.

انظر: إبراهيم طرخان : الإسلام والممالك الإسلامية فى الحبشة، مجلة الجمعية التاريخية، عدد ٨، سنة ١٩٥٩، ص٤٤؛ شوقى عثمان : مرجع سابق، ص٦٣ .

٩٦- Richard W. Hull, Munyakare African civilization before the Batururee New York , p. 66 .

٩٧- زنجبار : كلمة عربية محرفة أصلها بر الزنج، ويقال لها باللغة السواحلية (أنفوجاء) وهى كلمة مركبة من كلمتين أنفو ومعناها بالعربية (المنسف) و (وجاء بمعنى امتلأ وهى جزيرة تبعد عن البر الأفريقى بمسافة خمسة وعشرين ميلاً، وجنوب الجزيرة الخضراء (بمبا) بحوالى ٣٢ إلى ٣٥ ميلاً ، وشمال دار السلام بمسافة ٢٩ ميلاً، ويبلغ طولها ٥٢٤ ميلاً وعرضها ٢٤ ميلاً، ومساحتها ٦٤٠٠ ميلاً مربعًا، وكانت تسمى فى القرون الوسطى، منشونيا أو منشونياسى ولايعرف معنى هذا الاسم انظر: سعيد المغيرى: جهينة الأخبار، ص١٥ ، ١٦؛ سليمان الشيبانى : مملكة زنجبار ، بدون تاريخ ، ص١٨ ، ٥٩؛ انظر الخريطة شكل رقم (٢) .

٩٨- انظر : ما تفيف : تطور الحضارة السواحلية ، اليونسكو، المجلد الرابع ، ١٩٨٨، ص٤٥٢ .

٩٩- انظر : بانيكار : آسيا والسيطرة الغربية، ط ص٣٧ : Radah kunud Indian Shipping , Bom-bay , ND, p. 143 .

١٠٠- انظر : شوقى عثمان : مرجع سابق، ص٦٥ .

١٠١- سليمان عبد الغنى المالكى : دور العرب وتأثيرهم فى شرق أفريقيا ، (ندوة العرب فى أفريقيا) القاهرة ١٩٨٧، ص١٣٠؛ حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا، ط. دار الفكر العربى، ص٣٥٩ .

١٠٢- شوقي عثمان : مرجع سابق ص٦٨ .

١٠٣- يان فانسنيا: المأثورات الشفاهية، ترجمة أحمد مرسى، القاهرة ١٩٨١، ص٤٥ .

١٠٤- Musa H.L. Galaal, Histarical Relations between the Horn of Africe and the Persian Gulf and the Indian ocean islans through islam, in histarical Relations across the Insian ocean, unesco 1980, pp. 26-30 .

١٠٥- يان فانسنيا : المأثورات الشفاهية، ص٢٩، ٣٠ .

١٠٦- Musa H.L. : Ibid, pp. 25-26 .

١٠٧- انظر : ف ف ناتفييف : تطور الحضارة السواحلية، ص٤٥٣ ، ٤٥٤ .

١٠٨- انظر : محمد حمزة إسماعيل : النقوش الأثارية مصدراً للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، المجلد الأول، مكتبة زاهر الشرق ٢٠٠٢ م، ص١٣٥ . انظر ملحق بحث شكل (٦)، (٧) .

١٠٩- نفسه ، ص١٣٦ . انظر شكل (٨) بملحق البحث .

١١٠- Ravaisse , P., Steles et inscriptions Arabe du Harrar in, Azais, Cinq Annees, pp. 288-292 , 296-297 , 300 , 303 , 707 , Pis , xxv - xxix ; Triminghan in Ethiopia , oxford (1952), p. 63 .

انظر شكل (٩) بملحق البحث .

١١١- Azais , p., Cinq Annees de Recherches Archeologiques en Ethiopie, Paris , 1931 , pp. 283-309 .

١١٢- محمد حمزة : مرجع سابق، ج١ ، ص١٣٦ .

١١٣- رأى المؤرخ البرتغالى دى باروس عن جيان: وثائق تاريخية وجغرافية من أفريقية الشرقية، ترجمة يوسف كمال القاهرة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧ م، ص ص٨٤-٨٦ ، ٩٤ .

١١٤- Hichens, W., Islam in East Africa in Islam to day , London 1962 , p. 117 .

وانظر : المقريزى : جهينة الأخبار فى تاريخ زنجبار، تحقيق عبد المنعم عامر، القاهرة ١٩٧٩، ص٤٠ .

١١٥- Marsh , Z, Kingsnorth , G.W, A history of East Africa, An introductory Survery 4ed combridge (1972), pp. 21-22 .

١١٦- محمود الحويرى: ساحل شرق أفريقية فى فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالى، القاهرة، دار المعارف ١٩٨٦، ص٢٨ : محمد حمزة : نفسه ، ص١٣٦-١٣٧ .

١١٧– المغيرى: جهينة الأخبار، ص ص٤٠-٤٢ ، الحويرى : ساحل شرق أفريقية، ص١١٥ .

١١٨– ابن بطوطه : الرحلة ، ج٢، ص١٢١-١٢٣ ، محمد حمزة : نفسه، ص١٣٧ ،

Garlake, P.S. the Early Islamix Architecture of the east African Coast Nairobi , London 1966, pp . 15-112 .

Chittick , N., Kilwa , an Islamic trading city of the East African Coast , 2 vols Nairobi , (1974), vol, 1, pp. 27-254 , vol 11, pp. 259-296 ; the Coast of East Africa, in : The African Iron Age Edited by , P.L., Shinnie , oxford , clarendon 1971 , pp. 108-141 .

١١٩– الفاسى ، محمد هربك ، إيقان، مراحل تطور الإسلام وانتشاره فى أفريقيا ، تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو المجلد الثالث ، ١٩٩٤ ، ص١١٠ .

١٢٠– انظر : تشيرى: العلاقات بين أثيوبيا (الحبشة) والعالم الاسلامى، مجلد ٣، ص٣٦٨ (تاريخ أفريقيا العام) ؛ محمد حمزة ، نفسه، ص١٣٩ .

١٢١– الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ج٤ القاهرة ١٩٦٤ ، ص١١٢-١١٣ : ابن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ج٦ ، بيروت ١٩٩٢ ، ص٢٩٥-٢٩٦ ؛ ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، مجلد ٢ ، بيروت ١٩٨٧، ص٥٦٦ ؛ محمد حمزة : نفسه، ص١٣٨ .

١٢٢– ابراهيم طرخان : الإسلام والممالك الإسلامية فى الحبشة، المجلة التاريخية المصرية، المجلد ٨، القاهرة ١٩٥٩، ص٣٣٨-٣٩١ .

١٢٣– Combe, Repertoire , Tome 1, No 2526 , 2528 , 2554 , 2615 , 2633 , 2634 , 2660 , 2667 , 2676 , 2695 , 2696 , 2697 , 2770 , 2771 , 2782 , 2786 , 2747 , 2754 , 2759 , 2763 , 2766 , 2768 .

وعن إقليم السوس ومواضعه فى شرق وغرب العالم الإسلامى انظر كل من مادة السوس ومادة السوس الأقصى فى دائرة المعارف الإسلامية المصرية.

انظر الأشكال رقم (١٠ ، ١١) (١٢، ١٣) بملحق البحث .

١٢٤– انظر: عبد الفتاح مقلد الغنيمى: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، ١٩٩٨ ، ص٢٣١ وما بعدها، انظر الخريطة شكل رقم (١) .

١٢٥– كينت : مدغشقر وجزر المحيط الهندى اليونسكو ، المجلد الخامس ١٩٩٧ ، ص٩٢٧ ، ٩٣٨ .

١٢٦– CF: Reusch R.: History of East Africa, New York 1961 , p. 125 Freeman : The history of the African Oxford 1962 , p. .88.

١٢٧- ترمنجهام : الإسلام في شرق أفريقيا، الانجلو المصرية، ط١ ، ١٩٧٢ ، ص٩، محمود الحويرى: مرجع سابق ، ص١١٨ ؛ ف.ف ماتفييف : مرجع سابق، ص٤٦٤ .

١٢٨- ماتفييف: مرجع سابق، ص٤٦٤ .

١٢٩- CF. Kirkman , J.S. (1954) , the Arab city of Gedi : excavations at the great Mosque architecture and finds, London , oup , pp. 72-79 .

١٣٠- الإدريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ط. بيروت ١٩٨٩، ص٦٠ ، ٦١ ، ريتشارد هول : إمبراطوريات الرياح الموسمية ، ترجمة كامل يوسف حسين، الطبعة الأولى ١٩٩٩، ص٥٩ .

١٣١- Chittick, H.N. (1965)) , the Shirazi colonisation of East Africa, J A H. 6,3, pp. 275-94 .

١٣٢- CF. Chittick H.N (1974) Kilwa an Islamic trading city on the East of African coast , p. 131 .

١٣٣- انظر : ف ف . ما تفييف : مرجع سابق، ص٤٦٤ .

١٣٤- تيشارد هول : مرجع سابق، ص٦٦ ، ٦٧ .

١٣٥- المقريزى : السلوك ، ج١ ص٨٩٩ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣، ص٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ج٤ ص٣٢ ، ج٥ ص٢٨٠ ، ٢٨١ .

١٣٦- تشانغ زون بان : الاتصالات الودية المتبادلة بين الصين وعمان عبر التاريخ، مسقط ١٩٨١، ص١٢-١٣ .

١٣٧- ابن المجاور: تاريخ المستنصر ، ج١ ، ص١١٦ ١١٧ .

زين العابدين: مرجع سابق، ص١٠٠ ، ١٠١ .

١٣٨- ر. ك كينت : مدغشقر وجزر المحيط الهندى، ص٩٣٦ ، ٩٣٧ .

١٣٩- نعيم زكى : مرجع سابق، ص٢٠٠، ٢٠١ .

١٤٠- زين العابدين : مرجع سابق، ص١٢٣ .

١٤١- ج. ديفيس ،. لبيب : أفريقيا من خلال العلاقات بين القارات، اليونسكو المجلد الرابع، ص٦٥٤ ، ٦٥٥ .

١٤٢- انظر : Chittick : Op. cit, p. 21-38 .

١٤٣- ايزوافيلو ماندروزو : مدغشقر والجزر المجاوره ، من القرن الثانى عشر إلى القرن السادس عشر، اليونسكو ١٩٨٨ المجلد الرابع ص٦٠٢ .

١٤٤- المرجع نفسه ، ص٦٠٢ ، انظر الخريطة شكل رقم (٤) .

١٤٥- Robineau , C (1962) " L, Islamaux Comors : Une etude culturelle de' l;ile d' Anjougn " in p. Verin , Arabes et islamises a Madagascar et dans l'ocean indien (Tranarrive , Revue de Madagascar , pp. 39-56 .

١٤٦- نلاحظ أن الميل إلى الانتساب إلى أصل عربى شريف ظاهرة عند جل الأسر الحاكمة التى أسلمت فى أفريقيا الشرقية ، وبلاد السودان.

١٤٧- انظر: باكولى دومينيكينى- راميارمانانا : مدغشقر اليونسكو، المجلد الثالث ١٩٩٧، ص٧٧١، ٧٩٩ .

١٤٨- انظر ايزوافيلو ماندروزو : مرجع سابق، ص٦٠٤ .

١٤٩- Poirier C. (1954) : Terre d' Islam en mer malgache B.A.M., pp. 71-116 .

١٥٠- ايزوافيلو ماندروزو : مرجع سابق، ص٦٠٤ .

١٥١- انظر : ب فيرين، فى اليونسكو، «تاريخ أفريقيا» العام دراسات ووثائق ، رقم ٣، ١٩٨٠ .

١٥٢- كينت : مدغشقر وجزر المحيط الهندى، ص٩٣٨ وما بعدها؛ انظر الخريطة شكل رقم (٣) .

١٥٣- Mollat, M (1980) Histarical Cantacts of Africa and Madagascar with south and south east Asia : The role of the Indian Ocean , in unesco (1980) pp. 45-60 , G.S.P. FREEMAN - GRENVILLE: The Medieval History of the Coast of tanganyika, London oxford university press 1962, p. 80-98 .